ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا،
اعدلوا هو اقرب للتقوى

التقوى

مجلة اسلامية شهرية

المجلد الرابع، العدد ١، شوال وذوالقعدة ١٤١١
الموافق مايو (أيار) ١٩٩١

حلم « النظام العالمي الجديد » ..

حلم السلام أم الموت الزؤام !؟

بسم الله الرحمٰن الرحيم

التقوى

مجلة إسلامية شهرية

تصدرها
دائرة الشؤون العربية
في
الجماعة الإسلامية الاحمدية

مدير الإدارة
صفدر حسين عباسي

رئيس التحرير
طاهر عبد العزيز

هيئة التحرير
الحاج محمد حلمي الشافعي
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد
عبد الماجد طاهر

دار النشر والتوزيع
الشركة الإسلامية الدولية

المراسلات باسم رئيس التحرير
العنوان:

The Editor "Al Taqwa"
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU 10 2AQ
England

دار الطباعة
«الرقيم»
إسلام آباد ـ بريطانيا

محتويات العدد

الافتتاحية	٢
في عالم التفسير	٣
جوامع الكلم	٥
كلام الإمام	٦
حلم «النظام العالمي الجديد».. حلم السلام أم الموت الزؤام!؟	٨
قصيدة	٢٩
الجهاد في الإسلام وموقف الأحمدية	٣٠
"حياة في يوم" إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية	٣٧
أخبار الجماعة	٣٩

ثمن النسخة : جنيه ونصف £1.5 والاشتراك السنوي £18 أو ما يعادل ذلك خارج بريطانيا. ترسل قيمة الاشتراك باسم "التقوى" إلى عنوان المجلة .

الافتتاحية

قراءنا الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا تزال حرب الخليج، ولن تزال تشغل بال كل مسلم غيور على الإسلام وأبنائه، بل كل إنسان واعٍ لما يقع في العصر الحاضر. فهذه الحرب ليست نتيجة لجهل بعض الحكام المسلمين وخيانة بعضهم الآخرين فحسب، بل هي أيضا نتيجة لرفضهم المتواتر المتكرر لنصح النصحاء الأمناء. وكان من أبرز هؤلاء النصحاء الأمناء حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه الخليفة الثاني لسيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، حيث نصح حضرته المسلمين وخاصة حكامهم عند قيام دولة إسرائيل الغاشمة بمساندة المستعمرين الغربيين، أن يوحدوا صفوفهم وينبذوا خلافاتهم لمقاومة هذا العدو اللدود للإسلام والسلام والإنسانية. وذلك في خطبته الشهيرة «الكفر ملة واحدة» التي نُشرت حينذاك ووُزعت بعدة لغات منها العربية على نطاق واسع. ولكن المؤسف بل المؤلم أن نصحه وإنذاره لم يقعا على أذن صاغية واعية. فكان ما كان من اضطراب وخراب ودمار في الشرق الأوسط.

واليوم أيضًا ينصح المسلمين خاصة، وغيرهم من محبي السلام والإنسانية عامة، ناصح أمين (وهو إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية) بسرد حقائق من التاريخ لكي يعرفوا عدوهم ويقفوا في وجهه بقليل من الجرأة وبكثير من الحكمة والدعوات حتى يوفَّقوا في إيقافه عن التخريب والفساد. ويخبرهم هذا الناصح الأمين أن حلم «النظام العالمي الجديد» إنما هو حلم السلام للأمم القوية، ولكنه حلم التخريب والدمار والموت للأمم الضعيفة، وأن تدمير العراق إنما هو جزء من هذا الحلم المرعب أو بالأحرى من هذا المؤامرة الدولية الرهيبة على الإنسانية جمعاء، وسوف يأتي بعد العراق دور الشعوب الأخرى. وإذا لم يصححوا أخطاءهم ولم يأخذوا حذرهم فسوف يقاسون لأجيال وأجيال (لا قدر الله).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(المحرر)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

في عالم التفسير

بقلم حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه
الخليفة الثاني لسيدنا المهدي عليه السلام

الآية رقم: ١٧

[أولئك الذين اشتروا الضلٰلةَ بالهدى فما ربِحَتْ تجارتُهم وما كانوا مهتدين*]

شرح الكلمات

اشتروا: اشترى وشرى: مَلَكَ بالبيع. ومن ترك شيئا وتمسك بغيره فكأنه اشتراه. واشترى بمعنى باع أيضا.

الضلٰلة: الضلالة: ضد الهدى. ضل عنه: لم يهتد إليه. وضل الرجل في الدين ضلالة: ضد اهتدى. ضل فلان الفرسَ: ضاع عنه. ضل الماء في اللبن: خَفِيَ. ضل فلان فلانًا: نَسِيَه. ضل الناسي: غاب عنه حفظُ الشيء. ضل سعيه: عمل عملا لم يعد عليه نفعه.

التفسير

[اشتروا الضلٰلة بالهدى] تتضمن معنيين: الأول، أنهم اشتروا الضلالة وباعوا الهدى في مقابلها. فالإنسان مخلوق على الفطرة السليمة التي وهبها الله تعالى له، وزوده بالقوى التي يمكنه بها أن يميز بين الخير والشر، ولكن التربية السيئة والرفقة الشريرة والأعمال الذميمة تفسد هذه الفطرة وتفقدها القدرة الموهوبة. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى فقال: [فِطْرتَ الله التي فَطَرَ الناسَ عليها لا تبديلَ لِخَلْق الله] (سورة الروم: ٣١)، [لقد خلقنا الإنسٰنَ في أحسن تقويمٍ*] (سورة التين: ٥).

وقد ذكرها الرسول ﷺ في قوله: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصّرانه» (مسلم، كتاب القدر). فمن خسر هذه النعمة الإلهية بسوء عمله واستمسك بالضلالة فقد دخل هذه التجارة الكاسدة: شراء الضلالة بالهدى.

والمعنى الثاني أن المنافقين فضلوا الضلالة على الهدى، ذلك أن الله تعالى من ناحية وهب الإنسان القدرة على التمييز بين الخير والشر ثم خيّره، ومن ناحية أخرى أرسل الرسل وأنزل معهم الكتاب يعرض فيه الهداية على الناس.. في الوقت الذي كان الشيطان يروج للتعاليم الضارة. وقد أساء المنافقون الاختيار وتقبلوا الضلالة الشيطانية المهلكة ورفضوا الهداية النافعة، فبئس الاختيار.

ويظن المنافقون أن سلوك النفاق ربح لهم، فهم يتجنبون به غضب الفريقين، ويكسبون موالاتهم، ويهربون من مسئولياتهم وواجباتهم، ولكن الآية تقول: [فما ربحت تجارتهم]، أي أن الأمر بعكس ما يتوقعون، فهم الخاسرون. وليت الأمر يقف عند الخسران والهوان الدنيوي، ولكن العقاب الأخروي ينتظرهم، لأن من افتقر إلى الهداية من شأنه أن يضل عن الهدف. فهم يخسرون الدنيا، و [ما كانوا مهتدين] فيخسرون الآخرة أيضا.

وتعلمنا الآية الكريمة حقيقة هامة: هي أن كل عمل للإنسان له نتيجتان؛ إحداهما عاجلة، والثانية آجلة. فمن يُقبضْ عليه وهو يسرق مثلا يلق العقاب والمذلة في هذه الحياة الدنيا، وهذه هي النتيجة العاجلة لفعلته. وهو بسبب انقياده وراء هذا العمل تضعف فيه القدرة على رؤية الحق والهدى وتقبله، وهذه هي النتيجة الآجلة. ومن يفعل الخير يجد نتيجته العاجلة في رضاه عن نفسه، وارتفاع شأنه بين الناس؛ ونتيجته الآجلة أنه يزداد معرفة بالخير، وقدرة على فعله واتباع سبيل الهدى.

الآية رقم: ١٨

[مَثَلُهم كمثل الذي استوقَد نارا فلما أَضاءَتْ ما حوله ذَهَبَ اللهُ بنورهم وتَرَكهم في ظلٰمٰتٍ لا يبصرون*].

شرح الكلمات

مثلهم: المَثَل هو الشبه والنظير، الصفة، الحجة، يقال: أقام له مثلا أي حجة، القول السائر بين الناس، الحديث، العبرة، الآية. المثل عبارة عن قول في شيءٍ يشبه قولا في شيءٍ آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره. (مفردات).

استوقد: استوقد النار: أشعلها.

أضاءت: ضاء القمر: أنار وأشرق. والضوء والضياء: النور. أضاء البيت: أناره.

ظلمٰت: الظلام والظلمة: ذهاب النور. ويكنى بالظلمة عن الضلالة، وبالنور عن الهدى. وتستعمل الكلمة أيضا للغم والشدة والخطر والجهل والشرك والفسق. وصيغة الجمع (ظلمات) تشير إلى صنوف مختلفة من الظلام الحسيّ والخلقي والروحي، وتتضمن تزايد الشرور الناتجة عن كل خطيئة، وتفيد كثرة الأخطار المختلفة.

لا يبصرون: أبصره: رآه، أخبره بما وقعت عينه عليه. أبصر

فلانًا: جعله يبصر. أبصر الطريقُ: استبان ووضح.

التفسير

تبين هذه الآية التطورات التي واجهها المنافقون، إذ أنهم أوقدوا النار، ثم إذا انتشرت أضواؤها أصابتهم الغشاوة، فحرموا الرؤية، ولم ينتفعوا بها. والمراد من إيقاد النار هنا وصول الدعوة الإسلامية إلى المدينة، لأن الرسول ﷺ تلقى الدعوة للذهاب إلى هناك من أهل المدينة، وكان المنافقون من بين الجماعة الداعية. ولكن عندما انتشر نور الإسلام أصابهم البغض والحسد، واتجهوا إلى عداء المسلمين، وفي النهاية عموا وفقدوا بصارتهم وبصيرتهم. ومن الحقائق الروحية أن من يضل بعد الاهتداء يهوي إلى درك سحيق، ويفقد ما ناله من قبل.

إن التعبير عن التعاليم الدينية والآيات السماوية بلفظ (النار) وارد في القرآن الكريم، فعندما كان موسى (عليه السلام) عائدا من مَدْيَن رأى تجليا سماويا بصورة النار حكاه القرآن في قوله: [ءَانَسَ من جانب الطور نارا] (سورة القصص: ٣٠). فلما اقترب إليها ناداه الله تعالى: [يٰموسى إني أنا الله رب العٰلمين] (سورة القصص: ٣١). وكذلك شبه الكلام السماوي بالنار في قوله تعالى: [يكاد زيتها يضيٓ ولو لم تَمْسَسْه نار] (سورة النور: ٣٥).. مشيرا إلى الذين لهم فاعلية روحية قوية، تكاد تتوقد من تلقاء نفسها قبل أن تتلقى الوحي الإلهي الذي عبر عنه بالنار.

فالمنافقون لما وجهوا الدعوة مع أهل المدينة إلى رسول الله ﷺ جاءهم مظهرا للتجلي الإلهي، فأضاء كلام الله جوانب النفوس. عندئذ ثار الحسد في قلوب المنافقين فحرموا أنفسهم من الخيرات.

وتشبيه التجلي السماوي والكلام الإلهي بالنار ليس عجيبا، فقد عبر العرب عن المحبة بالنار. وإذا كان الحب ينير في نفس المحب تلك المشاعر التي تتملك قلبه وتغلب غيرها من الأحاسيس، فإن التجليات الإلهية والوحي الرباني تقضي على الأهواء الفاسدة وتمحق الميول والنوازع إلى المعاصي، وتطهر القلب من كل سوء، فلا يبقى به إلا حب الله تعالى وحب ما يحب.. فتشبيهها بالنار تشبيه صادق ولطيف. كما أنها قد شبهت أيضا بالماء في بعض الآيات لما لها من تأثيرات أخرى مناسبة.

وفي الأسلوب العربي يعبر عن الحرب أيضا بالنار كما جاء في قوله تعالى: [كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله] (سورة المائدة: ٦٥).

وعلى ضوء هذا المعنى يكون مفهوم الآية أن المنافقين قد دسوا الدسائس وكادوا المكائد، متعاونين مع الكفار، وألهبوا نار الحرب ضد المسلمين على أمل أنهم سيتمكنون من إلحاق الضرر بالنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولكن النتائج جاءت على عكس ما تمنوا، فتضاعفت قوة الإسلام، وتأصلت عظمته في القلوب، وبدلا من أن ينتفع المنافقون بمكائدهم فقدوا نور بصيرتهم، وتخبطوا حتى وقعوا في الحفرة التي حفروها لإيقاع المسلمين.

والمعنى الثاني هو أن رقي الإسلام يكشف عن حقيقة المنافقين. ذلك أنه كلما يكتمل الدين ويزداد النور الإلهي، كلما تكثر أحكام الشريعة، وهذا يثقل على المنافقين أكثر فأكثر.. مما يفضحهم فيسلب عنهم لباس النور.

وقوله [تَرَكَهم في ظلمٰتٍ لا يبصرون] يدل على أن المنافقين أوقدوا نار الحرب ليحققوا بها أهواءهم ويسترجعوا بها عظمتهم، ولكن أمرهم انقلب ضدهم وتراكمت عليهم الظلمات، فاستفحل نفاقهم وزاد غيظهم وكيدهم وفقدوا الرؤية للخروج منها.

ويدل أيضا على أن نور الإسلام مس المنافقين من الظاهر، ولكن لم يدخل إلى قلوبهم، فحرموا من نور الوحي الإلهي وبركاته، وحرموا من نور الضمير الذي غرسه الله في فطرة البشر.

الآية رقم ١٩

[صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ فهم لا يرجعون*].

شرح الكلمات

صُمٌّ: صم الرجل: انسدت أذنه وثقل سمعه أو ذهب، فهو أصم. والرجل الأصم من لا يُطمَع فيه ولا يُرَدُّ عن هواه كأنه ينادَى فلا يسمع.

بُكم: البُكم: الخُرس مع عيٍّ وبَلَهٍ. وقيل هو الخرس أيًا ما كان. وقال ثعلب: البُكم أن يولَد الإنسان لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر. وقال الأزهري: بين الأخرس والأبكم فرق في كلام العرب، فالأخرس الذي خُلق ولا نطقَ له كالبهيمة العجماء، والأبكم الذي بلسانه ينطق وهو لا يعقل الجواب ولا يحسن وجه الكلام. والأبكم الأخرس، العاجز عَن التعبير.

عُميٌ: عَمِيَ الرجل: ذهب بصره؛ ذهبت بصيرته وجَهِلَ؛ غَوِيَ.

التفسير

تقدم الآية وصفا ملائما لحال المنافقين، فهم صم لأنهم لم يسمعوا لكلام الوحي الإلهي، فحرموا الفائدة من القرآن الحكيم. وهم بكم لأنهم أغلقوا أفواههم استكبارا وغرورا، ولم يستفهموا الرسول ﷺ عما اشتبه عليهم من أمر، وإنما أخذتهم العزة الكاذبة، ورفضوا أن يكونوا في موقف المتعلم بعد أن كانوا قادة معلمين. وهم عميٌ لأنهم لم يبصروا ما طرأ على إخوانهم المسلمين

بقية ص٧

من جوامع الكلم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ» متفق عليه.

وفي رواية لمسلمٍ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ».

عن أبي عمر وجرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنَّا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءَهُ قومٌ عراةٌ مُجتابي النمار أو العباء مُتقلدي السيوف، عامَّتهم من مُضر بل كلُّهم من مُضرَ، فتمعَّر وجهُ رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً، فأذَّن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: «يا أيها الناس اتَّقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة» إلى آخر الآية، «إن الله كان عليكم رقيبا» والآية التي في الحشر «يأيها الذين ءَامنوا اتقوا الله، ولتنظر نفسٌ ما قدمت لغد» تصدَّق رجلٌ من دينارِه، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِهِ، من صاع تمره» حتى قال: «ولو بشق تمرةٍ». فجاء رجلٌ من الأنصار بصرةٍ كادتْ كفُّه تعجزُ عنها بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعامٍ وثيابٍ حتى رأيتُ وجهَ رسول الله ﷺ يتهلَّلُ كأنه مذهبةٌ. فقال رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنةً فله أجرها وأجرُ من عمِلَ بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ» (رواه مسلم).

عن أبي مسعودٍ عقبة بن عمرو الأنصاري البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله» (رواه مسلم).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعَا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعَا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا» (رواه مسلم).

كلام الإمام

لسيدنا المسيح الموعود والمهدى المعهود عليه السلام

ترجمة: الأستاذ المرحوم مبارك أحمد الملك

«ألا يعزبنّ عنكم، أنه ليس باستطاعة الإنسان بتاتا أن يدرك حقيقة شؤون الله التي أدق ما تكون، بل إن أعماله عز وعلا أدق وأسمى وأبعد من إدراك العقل والفهم والقياس. ولا ينبغي أن يغتر الإنسان بعلمه التافه هذا قائلا بأنه قد ألم بشيء من تسلسل العلل والمعلولات؛ لأن علم الإنسان هذا أقصر ما يكون وهو كالجزء من عشرة الملايين من قطرة واحدة من البحر. والحق أن الله عز وعلا كما لا يحد وجوده بحدود، كذلك إن أعماله غير متناهية، وإن إدراك حقيقة عمل من أعماله أسمى وأعلى من مبلغ الإنسان. غير أنه يمكننا أن نقول ناظرين في صفاته القديمة التي لا تتعطل أبدا: أن نوعا من أنواع المخلوقات كان قديما قدامة نوعية، أي كان ولا يزال نوع من تلك الأنواع موجودا منذ القديم، لكن القدامة المتشخصة المحددة باطلة بتاتا، ومع ذلك أيضا الصفة الإلهية من الإفناء والإهلاك مازالت ولا تزال عاملة غير معطلة منذ الأزل. إن علماء الطبيعيات الجاهلين وإن استفرغوا جهودهم لأن يقحموا ظهور الأجرام السماوية والأجسام الأرضية في نطاق الكليات الطبيعية ويحددوا لظهور كل كائن أسبابا مادية، لكن الحق الذي لا ينكر هو أنهم أخفقوا في مساعيهم، وكل ما ادّخروا من بحوثهم الطبيعية يسوده النقص ويعوزه الكمال، ومن أجل ذلك إنهم لا يطمئنون بشيء، وما برحت نظرياتهم المختلفة عرضة للتغير، وما يدريك مدى تغيرها في المستقبل. وبما أن بحوثهم العلمية لا تتأسس إلا على مجرد العقل والقياس، وليس لهم حظ من إعانة الله تعالى، فلذلك إنهم ليسوا بخارجين من الظلمات، وليس لأحد من الناس أن يعرف الله تعالى حق المعرفة ما لم تبلغ به معرفته إلى اليقين بأن كثيرا من شؤون الله تعالى تسمو وتفوق عن طوق البشر وإدراكه وفهمه. ولا يكون الإنسان قبل هذا النوع من المعرفة إلا ملحدا لا يؤمن بوجود الله أو أنه يتمسك بإلهه الذي هو وليد استدلاله الملفق ولا يمت إلى الإله الذي يتجلى بنفسه والذي لا يحيط بأسرار قدرته عقل إنساني. ومنذ مكنني الله من المعرفة بأن لإلهنا عجائب القدرة وأعمقها وأبعدها عن الإدراك، قد أيقنت بأن هؤلاء العلماء والفلاسفة كفار حقا، كما قد رأيتم ملاحدة مستخفين، ولقد شاهدت بنفسي أن عجائب القدرة العديدة قد تراءت لي بحيث لا أراها إلا أنها وجدت من العدم، كما قد ذكرت شواهد ذلك في بعض المواضع من كتبي. والذي لم يحظ بمشاهدة مثل هذه القدرة المعجزة، فكأنه أشقى ما يكون، بلى إنما نؤمن بالإله الذي تجليات قدرته غير محدودة ولا مقصورة ولا متناهية كذاته عز وجل». (جشمهٔ معرفت، (عين المعرفة)، ص ٢٦٨، ٢٦٩).

«إن القرآن العظيم ليحتوي على تعاليم تدعو الناس إلى حب الله دعوة ملحة، طورًا تتجلى بحسنه وجماله وتارة تذكّر الإنسان نعمه تعالى ومننه، لأن الإنسان يشغف بحب شيء إما لأجل حسنه أو إحسانه..... إن الله تعالى واحد لا شريك له من جهة صفاته العليا، لا عيب يوجد فيه، إنه لمستجمع لجميع الصفات الكاملة ومظهر لكل القوى الخارقة السامية، ومبدأ لكافة المخلوقات، وإنه لمنبع لكل الفيوض والخيرات، وإنه لمالك يوم الدين، ومُستجمع لجميع الأمور. وإنه لبعيد مع قربه وقريب مع بعده. وإنه يفوق كل شيء ويسوده، لكن ليس من الصحيح أن نقول أن تحته شيئا آخر. وإنه لأخفى من كل شيء، ولكن لا يصح أن نقول أن شيئا من الأشياء أظهر منه وأجلى. إنه لحي بذاته وقيوم لكل شيء، وإنه لقائم بذاته، لكنه قوّام لكل شيء. إنه يرفع كل شيء بقوته، لكن ما من شيء يرفعه. وما من شيء وجد بنفسه دون إيجاده، ولا يستطيع أن ينال الحياة دون إحيائه. إنه لمحيط بكل شيء لكن ما يدرينا كيفية تلك الإحاطة. إنه لنور السماوات والأرض وكل مستنير ليستمد من نوره، ويضيء بإضاءة ذاته، إنه لرب العالمين، وما من روح إلا وهي تنشأ وتتربى بربوبيته، وما من قوة من قوى الروح إلا وهي مستعارة منه. إن رحمته على نوعين: أحدهما الذي تم ظهوره دون عمل سابق للإنسان كالأرض والسماء والشمس والقمر والنجوم والماء والهواء والنار وكل ذرات هذا العالم التي سخرت لأجل راحتنا، وكذلك هُيئ حتى قبل ولادتنا كل ما كنا بحاجة إليه في هذه الحياة، وأُتيح لنا قبل وجود أنفسنا كل ما يلزمنا، حينما لم نكن نحن ولا من عملنا شيء. من الذي يجترئ على أن يدّعي بأن الشمس خلقت من أجل عمله أو وجدت الأرض لعمل له صالح. وبالجملة، إن هذه الرحمة هي التي ظهرت قبل وجود الإنسان وأعماله، وليست ثمرة جهود أحد من الناس. والنوع الثاني من الرحمة هي التي تتأتى على أعمال الإنسان، إنها لغنية عن بيان وإيضاح. وكذلك قد ورد في القرآن أن الله عز وجل منزه عن كل عيب ومبرّء عن كل منقصة، وإنه تعالى ليجب أن يكون عباده أيضا متطهرين من المعائب باصطباغهم بصبغته كما يقول عز وجل: مَنْ كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، أي أن الذي يبقى في هذه الدنيا كالعميان ولم يحظ بتجلي الله له، هو بعد موته أيضا يظل أعمى، ولن تفارقه الظلمات، لأن الإنسان يوهب

في هذه الدنيا قوى حساسة خارقة ليتمتع برؤية الله. فالرجل الذي لا يتزوّد بهذه الحواس لآخرته، لن يستطيع أن يتمتع برؤية الله في الآخرة أيضا. ولقد بيّن الله تعالى في هذه الآية مدى التقدم الروحاني الذي يقتضيه من عباده ومقدار ما يمكن أن يبلغه الإنسان من المراتب العليا بفضل اتباع تعاليم الله عز وجل. ثم إنه يقدم التعاليم التي بتطبيقها يشُق له الطريق إلى تجلي الله عز وعلا، كما يقول تعالى: [من كان يرجوا لِقَاءَ ربه فليعمل عملاً صالحا ولا يُشركْ بعبادة ربه أحدًا]، أي إن الذي يريد أن يتجلى له الله الخالق لكل شيءٍ في هذه الدنيا، فليعمل أعمالا لا تشوبها شوائب الفساد. أي يجب أن لا تكون أعماله رياء للناس ولا تكون مثار الكبر والأنانية في نفسه ولا تكون ناقصة يعوزها التمام، ولا تشتم منها رائحة كريهة تنافي حبّ الله الذاتي، بل من الأجدر بها أن تكون فياضة بحماس الصدق والوفاء. وكذلك من أوجب واجباته مع هذه الأعمال أن يتجنب الشرك، ولا يتخذ من دون الله آلهة، لا الشمس ولا القمر، لا النار ولا الماء ولا شيئا آخر من الموجودات. وعليه كذلك أن لا يقيم للأسباب الدنيوية وزنا ولا يعتمد عليها اعتمادا يجعلها أندادا لله عز وجلّ، ولا يعتد بهمته ولا بجهوده أي اعتداد، لأنه هو أيضا من دواعي الشرك، بل عليه أن يحسب كل جهوده لا شيءٍ، ولا يغتر بعمله، بل عليه أن يعد نفسه من الجاهلين المقصرين حتى تكون روحه دائمة الخضوع والسجود لعتبة الله عز وعلا، ويجتلب ويستسقي فيضه بالأدعية الضارعة حتى يكون كرجل متعطش بائس مخذول، فانفجرت له عين صافية عذبة فتخاذل زاحفا بين تجشم وانهيار إلى تلك العين حتى مسّتها شفاهه، فلم يُفارقها حتى ارتوى.

ثم يقول إلهنا الحق في القرآن:

[قل هو الله أحد* الله الصمد* لم يلد ولم يُولد* ولم يكن له كفوًا أحد*].

أي إن إلهكم هو الإله الذي هو واحد بذاته وصفاته، لا ذات مثل ذاته الأزلية الأبدية، ولا شيءٌ متصف بمثل صفاته. إن علم الإنسان يحتاج إلى تعليم معلّم، ثم إنه لمقصور ومحدود، لكن علمه عز وجل لم يكن بحاجة إلى معلّم ومع ذلك لا يحد بحدود. والإنسان في سمعه لأحوج إلى الهواء، ثم إن نطاق سمعه لمتضائق جدا، لكن سمع الله عز وجل لذاتي وغير محدود أيضا. إن بصر الإنسان ليتوقف على ضوء الشمس أو غيرها من الأنوار ثم إنه مقصور المدى، لكن بصيرة الله تنبعث من ذاته عز وجل ثم إنها لتسع السموات والأرض. وكذلك قوة الخلق في الإنسان لأفقر ما تكون إلى مادة ومدة، ثم إنها لمحدودة، لكن على عكس ذلك إن خالقية الله تعالى لا تعوزها المادة ولا المدة ولا تعرف الحدود ولا القيود؛ لأن جميع صفاته منقطعة النظير عديمة المثيل وهي كذاته لا عديل لها ولا شبيه، فإذا كانت إحدى صفاته ناقصة كانت سائرها غير كاملة، ولذلك لا يتأصل توحيده ولا يتثبت ما لم يكن وحيدا فذّا عديم النظير في جميع صفاته. ثم إن الآية تصرح بأنه ليس بوالد ولا مولود، لأنه غنيٌ بالذات عن الآباء والأولاد. هذا هو التوحيد الذي علّمه القرآن العظيم والذي هو مدار الإيمان وقوامه». (Lecture Lahore)، ص ٩ إلى ١٣).

التفسير، بقية

من تغيرات رائعة. لقد كانت أمام المنافقين فرص عديدة للسمع والكلام والنظر في بيوتهم أيضا. ألم يلحظ شيخ المنافقين عبد الله بن أُبي بن سلول ما أصبح عليه سلوك ابنه عبد الله (رضي الله عنه)؟ ألم ير كيف تحول ابن كذابٍ جبان إلى رجل صادق برّ طاهر شجاع باسل، وكيف صار ابن عابد الدنيا عبدًا لله تعالى، لايكف عن السجود لذي العرش العظيم؟ ألم ير المنافقون أبناء عشيرتهم وما يجري في بيوتهم وفي أعمالهم وفي سلوكهم من عفة وطُهر وأمانة وصدق؟ ألم يروا بني الأوس والخزرج الذين تخلصوا من كل العيوب الأخلاقية، وفاضت قلوبهم بمحبة الله تعالى.. كيف كانت تسيل أعينهم لذكر الله، وتتغنى ألسنتهم بحمد الله، وكيف كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟ إذا لم يروا ذلك كله وهو أمام أعينهم فمن الأعمى إذن؟

الجهاد في الإسلام وموقف الأحمدية بقية

فانظروا إلى البون الشاسع بين التصور الذي قدمه ذلك العارف بالله سيدنا المهدي والمسيح عليه السلام حول الجهاد الإسلامي وبين هذه الأقوال الملتوية التي حاول المودودي إخفاءها بآلاف الأغطية المزركشة من الفصاحة، ولكنه مع ذلك لم يقدر على إخفاء سمومها التي نفذت إلى قلوبنا.

الحق أن التصور المودودي للجهاد هو أشنع وأكبر تهمة على الإسلام وعلى نبيه ﷺ. فكيف نقبل منه هذا التصور للجهاد. إنه تصور يجب رفضه ومحوه للأبد، لأن نسبته إلى نبينا ﷺ إهانة كبرى له. وإننا لسنا بمستعدين لقبوله بأي حال.

برؤية أحوال هؤلاء المشائخ يصاب الإنسان بهزة عنيفة ويقشعر جلده. باسم الإسلام، وفي إعراض تام عن روح الإسلام، يحاول هؤلاء الظالمون المعتدون على عباد الله المصطفين خداعَ العالم، فيغيرون أصواتهم بتغير الظروف والمواسم، غير خائفين من الله، وغير مكترثين كيف يناقضون أقوالهم بأفعالهم!!!

حلم «النظام العالمي الجديد».. حلم السلام أم الموت الزؤام؟!

ترجمة: الحاج محمد حلمي الشافعي

لقد ألقى حضرة إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية سلسلة طويلة من الخطب أيام حرب الخليج وبعدها. وقد نشرنا معظمها، وسوف نقوم بنشرها إلى آخرها، إن شاء الله. وها نحن نقدم إلى السادة القراء الكرام ثلاث خطب أخرى وقد أُلقيت بتواريخ ١ و٨ و١٥ فبراير الماضي بمسجد «الفضل» لندن. (التقوى)

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. [بسم الله الرحمٰن الرحيم * الحمد لله رب العٰلمين * الرحمٰن الرحيم * مٰلك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين *].

تلوث تاريخ الإسلام بكثير من الخيانات المروعة. وباستثناء العهد النبوي، الذي يشمل زمن سيدنا محمد ﷺ، وزمن خلفائه الراشدين وما بعده بقليل، لو أنكم درستم مراحل التاريخ الإسلامي لوجدتم أن محاولات الإضرار بالإسلام كانت تتطلب دائما الاستعانة ببعض الخونة من بين المسلمين. ولو لا ذلك ما أمكن لهم قط إلحاق أي أذى بالملة الإسلامية. ولو استعرضتم هذا التاريخ تبين لكم أن الحرب الجارية واحدة من تلك الخيانات، وهي جديرة بأن تسجل بأحلك الحروف. ذلك لأنه لم يحدث حتى اليوم أبدا أن اشترك أو ساعد مثل هذا العدد من الأمم الإسلامية في القيام بهذه المؤامرة الخطيرة ضد مصالح المسلمين. اليوم يمكن للمعلقين قول ما يشاءون عن هذه الحرب لخداع البلاد الإسلامية التي شاركت معهم، ولكن الدارسين والباحثين والمؤرخين من عالم الغرب سوف يقولون ما أقول اليوم.. من أن تلك البلاد الإسلامية قامت بأخطر خيانة لمصالح الإسلام، وأنها بتضافرها مع القوى المناهضة للإسلام دمّروا قوة إسلامية صاعدة، وسعوا للقضاء عليها بأسلوب ظالم. ولا يسعنا اليوم سوى القول بأنهم حاولوا ذلك.. والله تعالى أعلم بما ستكون عليه العاقبة غدا. ولكن، لا سمح الله، لو أنهم نجحوا في سعيهم هذا، فسوف يسجل المؤرخون غدًا أن هذه البلاد الإسلامية في سعيها ذلك تحالفت تماما مع أعداء الإسلام لهدم دولة إسلامية كبيرة، ولم يراعوا أقل قدر من العدل أو الرحمة، ولم يبدوا أقل حرص على هذه الأمة.

كنت توقعت مثل هذا الموقف من بعض البلاد.. منها دولة السعودية أولا، ومصر ثانيا. فعندما سعت مصر لاسترداد أرضها المحتلة.. كبلتها اتفاقياتها مع إسرائيل والضغوط العالمية، وتعدّها القوى الغربية من الدول التي هي من صنعها تماما. أما السعودية فخيانتها لعالم الإسلام تاريخية. إنها دولة بدأت بالخيانة، وولدت ثمرة للخيانة، وظلت دائما تمثل مصالح بريطانيا ثم المصالح الأمريكية. ونظرا لسيطرتها على البلدتين المقدستين عند المسلمين.. دأبت هذه الدولة على التظاهر تحت عباءة دينية كاذبة. ووقعت كثيرا من بلاد الإسلام تحت تأثير هذه الدولة التعيسة، وظلت على محبتها والتودد لها.. بحسبانها تمثل مكة والمدينة، أو بعبارة أخرى تمثل محمدًا رسول الله.

وبهذا الأمر حاولتُ مرارًا أن أبين لممثلي بعض البلاد الإسلامية أنهم مخدوعون خدعة كبرى. فإني عارف بتاريخ السعودية جيدا، وعارف بتاريخ المذهب الوهابي تماما. تحسبون الأصوات المنبعثة من مآذن مكة والمدينة من الله تعالى ورسوله ﷺ، ولكنها في الحقيقة مكبرات صوت مركبة على تلك المآذن.. وإسرائيل تؤذن خلف الميكروفون المركب في أمريكا. هذا شيء ظاهر بيّن، لا يتطلب تفكيرًا طويلاً أو عريضا. فكل من له أدنى معرفة بالموقف الراهن يعلم بالجزم الحقيقة الواضحة بأن السعودية هي تحت السيطرة التامة لأمريكا، وأمريكا بدورها واقعة تماما تحت النفوذ الإسرائيلي؛ وفي الواقع العملي قبلت أمريكا النفوذ الإسرائيلي في سياستها.

هذا موقف ظاهر، ومع كونه عيانا بيانا إلا أن البلاد الإسلامية ما تزال عمياء. ومن بين أسباب هذا العمى أنهم جعلوا الجماعة الإسلامية الأحمدية هدفا لدعاية باطلة شنيعة، يزعمون فيها أن الأحمدية عميلة لبريطانيا. ولما سمع ممثلو تلك البلاد الإسلامية هذه الفرية الخبيثة عن الأحمدية.. ظنوا أننا نُلقى مشاكلنا على السعودية ثأرًا لأنفسنا منها.. وإلا فلا أساس لما نصفهم به. أما الآن فقد انكشف الأمر أمام الدنيا وتبين أن المشائخ الذين كانوا يقبضون

الثمن من السعودية، والذين يتعيشون على ريالات السعودية، والذين كانوا يرمون الأحمدية أحيانا بالعمالة لليهود، وأحيانا أخرى للإنجليز.. هؤلاء المشائخ أنفسهم يصرخون اليوم بأعلى صوت أن السعوديين جميعا، ورأس حكومتهم، وشيوخ الوهابية كافة.. هم عملاء اليهود وعملاء الغرب. ويعلنون رأيهم هذا بلغة بذيئة لا يليق بنا ترديدها، ولكنها لغة تستعمل في أزقة باكستان، وسبق لكم سماعها منهم. هذه الأصوات ذاتها ترتفع في بريطانا ضد السعودية؛ وتأتينا الأخبار بمثل ذلك من بلاد أخرى. اليوم لقد عرف عالم الإسلام حقيقة أمر السعودية. وإذن فلا مجال لمشاعر الدهشة من جراء خيانتهم، فلقد خانوا من قبل، وكنا على يقين من أنهم ما برحوا يفعلون ذلك.

ولكن المؤسف أن بعض الدول في الوقت الراهن قاموا بخيانة مصالح الإسلام بما تجاوَزَ كل توقعاتنا. وهنا أيضا.. وبالإضافة إلى الضغوط الأمريكية، تشتم رائحة الضغط والنفوذ السعودي إلى حد كبير. هناك قدر من الإكراه الناجم عن الفقر دفع بعض الدول إلى بيع دينها.. دول لم يساورنا أدنى احتمال من ناحيتها.. مثل باكستان وتركيا وسوريا. لم نتوقع ذلك من باكستان.. لأنه مهما كان اعتزاز باكستان بأمريكا.. إلا أنني باكستاني وأعرف مزاج المواطنين الباكستانيين من عامة الناس ورجال الجيش، فإنهم لا يتحملون أبدا.. وبأي صورة كانت.. أن يضعوا أيديهم مع قوى الغرب وأن يشاركوا معهم لمهاجمة بلد مسلم، أو يلتمسوا عذرا للهجوم. لا يقبل المزاج الباكستاني هذا بأي ثمن. ورغم ذلك آزرت حكومة باكستان الحالية هذه الخطوة المخيفة للغاية ضد العراق باسم التحالف. فأصابتني دهشة شديدة لما حدث وكيف حدث. ولكن بحمد الله تعالى قام الجنرال أسلم بيج رئيس الجيش الباكستاني قبل بضعة أيام بإزالة سوء الفهم حول مساندة الجيش لهذا القرار، فأعلن براءته بنفسه علنا من هذا القرار قائلا: إننا بالتأكيد لا نقبل هذا القرار.. فهو قرار خاطئ.. وضد مصلحة الإسلام.

أما تركيا، فهي أمة أسست سمعتها الطيبة في العالم لقرون طويلة بوصفها حامية مصالح المسلمين. هكذا عرفتها أوروبا، وكانوا يرتعدون لذكر الإمبراطورية العثمانية في تركيا. كان اسم تركيا يجعلهم يفكرون بأن فرصة اختراق العالم الإسلامي مستحيلة تماما ما دامت هذه الإمبراطورية قائمة. وتلويث هذا التاريخ الطويل العريض.. بقرار واحد من الحكومة التركية.. وتسويد صورتها بهذا القبح يعد انتحارا خطيرا لا نجد له مثيلا في التاريخ. لقد أصاب هذا التلوث الأمة التركية، فلا يغسله إلا ثورة عظيمة تطهره بدمائهم.

وهناك أسباب من جهة سوريا لم أتوقع لأجلها أن تنضم إليهم. فهضبة الجولان لا تزال أسيرة تحت الاحتلال الإسرائيلي، وطال النزاع والشجار مع إسرائيل. ومنذ قيام إسرائيل وتبذل سوريا تضحيات عظيمة في مناهضتها، وفي سبيل ذلك فقدوا جزء من أرضهم، ومع ذلك لم يتغير صمودهم.

وبالإضافة إلى ذلك فإنه مهما كانت الصورة التي رسمها الغرب لصدام حسين، فلقد رسموا لحافظ الأسد صورة أقبح وأسوأ، ولا تزال نفس دول الغرب تفعل ذلك. فكيف يفكر الرئيس حافظ الأسد أن بوسعه معانقتهم سرا؟ ولكني شاهدت على الشاشة الرئيس الأسد يجلس مع الرئيس بوش، ويتحدثان سويا بطريقة ودية، ورأيت سياسته تتبدل تبديلا كليا بما يدعو للذهول! لا يستطيع المرء فهم ذلك ويتحير بشأن ما حدث!

لم أتوقع ذلك من إيران، ولا أتوقعه اليوم، ولن أتوقعه أبدا؛ ولقد صرحت من قبل مِرارًا بأنه برغم الفوراق في المعتقدات الدينية، إلا أن الإيرانيين أمة لا يمكنها اللجوء إلى النفاق في أمور الإسلام. إن بهم حبا صادقا للإسلام. ربما يكون بمفهومهم الإسلامي شيئ من الخطأ.. قد تكون في عقائد الشيعة ما لا نوافقهم عليه.. قد يكون بفكرهم الإسلامي المتعلق بالسياسة أخطاء كثيرة، وفي رأيي أن بها أخطاء، ولكن ليس من المعقول أن تمارس الأمة الإيرانية خيانة متعمدة ضد الإسلام. فتاريخهم مضيئ بخدماتهم العظيمة للإسلام. والأحرى أن ما فعلته إيران الكبرى التي جزء منها تحت الحكم السوفييتي اليوم، يتعذر تقديره مقارنة بما فعلته بلاد الإسلام الأخرى. فلا يسعنا القول بأن خدمات إيران للإسلام تخلفت بأي حال عن غيرها. والحمد لله.. حققت إيران توقعاتنا. هناك نزاع عميق بين حكومة إيران وصدام حسين.. ولقد اشتبكوا لثماني سنوات في حرب طويلة رهيبة سالت فيها الدماء، ولهم منه شكايات وآلام عميقة. ولو هبّت إيران ضد العراق لتفهم العالم موقفها ذلك بعد حرب مريعة، ولو حاولت إيران استغلال الموقف فلا لوم عليها. فهذه هي مشاعر البشر التي تثور لأمور معينة فيصعب السيطرة عليها. وفي مثل هذا الوقت لا يستطيع المرء أن يفكر بعمق فيما هي متطلبات الإسلام، وما هي متطلبات أمة المسلمين.. إنه ينساب مع عاطفته. وبالنظر لهذه الأمور قد يحكم المؤرخ بأن ذلك مما يغتفر.

ومع أن إيران لم تقرر الاشتراك معهم، وظلت على الحياد التام تجاه هذه المحنة.. فإنها بذلك ذكرّت العراق بخطئها، وذكرت قوى الغرب بخطئهم.. وهكذا بقيت ثابتة على قواعد العدل. ومن هذه الناحية.. سيذكر اسم إيران في تاريخ الإسلام بالتكريم إن شاء الله.

هذا تعليق وجيز بشأن البقاء على الإخلاص للإسلام أو عدم الإخلاص. وعندما أقول الإخلاص أو عدمه.. فإنما أعني بذلك المفهوم السياسي، أي البقاء على الإخلاص لجموع المسلمين أولا. وبهذا الصدد أود أن أذكر شيئا آخر.

هناك بلدان في جماعة الإسلام لهما مقام ممتاز بالنسبة للدين أيضا. فالسعودية.. بوصفها حامية الأماكن الإسلامية المقدسة، وراعية الحرمين.. تتبوأ مركزا عظيما في عالم الإسلام لا ينكر. ومن حسن طالعها أنها أعطيت هذا الشرف العظيم، ويعهد إليها بمسئولية هذه الأمانة. وعلى الجانب الآخر تأتي مصر.. وتعتبر الحفيظة على المعارف الإسلامية، لأن الخدمات التي قدّمها الجامع الأزهر للعلوم الإسلامية لا مثيل لها في أي بلد إسلامي. وفي الحقبة الإسلامية الأخيرة.. لقد نال الجامع الأزهر في مجال خدمة علوم الإسلام مكانة لا ينافسه فيها أي بلد من بلاد العالم. ومن هذه الزاوية لا يمكن أن يطوف بالخيال أبدًا أن يتحول هذان القطران إلى خيانة الملة الإسلامية. وتذكرني رؤية هذا الحال شطرًا من الشعر سمعته في صباي، كان محبّبًا إليّ في ذلك الوقت، ولكنه فقد تأثيره فيما بعد:

«عندما أضرم الصياد.. قاسي القلب النارَ في عُشي..
شرعتِ الأوراق التي كنت أستريح وأعتمد عليها..
شرعتْ تهتزّ لتهويْ على النار وتزيدها لهبًا».

فالبلدان اللذان طالما اعتمد عليهما عالم الإسلام.. من جهة العلم، ومن جهة الحرمة، هيجا النار التي أشعلها العدو في بيت العالم الإسلامي!

هي إذن ليست بجريمة يسع التاريخ غفرانها. أما عن قضاء الله تعالى.. وهل سيقضي به اليوم أو غدًا، وهل سيؤاخذهم بذنوبهم في هذه الدنيا أو يؤخرهم لعقاب يوم الدين، فذلك له، فهو مالك يوم الدين، وهو أحكم الحاكمين؛ ولكن بالنسبة لفكر البشر، وفهم الإنسان.. المتعلق بأمور الدنيا، فها هي بعض العواقب السيئة بدأ ظهورها، وهناك غيرها لن ينقطع ظهورها لزمن طويل، ولن يقتصر أثرها على هذا الجزء من العالم.. بل سوف يمتد وينتشر في أرجاء الدنيا.

أود أن أعرض أمامكم الوجه الثاني لهذه الحرب.. فما هو الغرض منها؟ لماذا القتال وما طبيعته؟ وما دمنا لا نفهم ذلك تماما فلن نستطيع معرفة الموقف الصحيح لعالم الإسلام، أو ما ينبغي أن يكون عليه موقف العالم، وما هي الخطوات التصحيحية التي يجب اتخاذها من جانب الأمم المتحدة؟ إذا لم نشخص المرض تشخيصا صحيحا فلا يمكن وصف العلاج الملائم له. وسوف أحاول، بإذن الله تعالى، فيما تبقى من هذه الخطبة أن أقدم لكم تحليلا موجزا لأسباب هذه الحرب.. أسبابها الحقيقية وأهدافها؛ وعلى ضوئها سوف أقدم لكم في الخطبة القادمة، إن شاء الله، ما ينبغي على الأمم المتحدة، وأمم العالم الأخرى، وعالم الإسلام أيضا لحلّ تلك المشاكل من وجهة النظر الأحمدية. وإذا أرادوا التفكير الجاد لتوطيد السلام العالمي حقا.. فكيف يجب أن يتجه فكرهم.

في الوقت الحاضر نسمع صوتا من الغرب.. ويرفعه المستر بوش بجماس وقوة أشد.. يقول: هذه الحرب ليست حربا دينية، وليست حرب مصالح من أي نوع، وليست حرب بترول، وليست حرب إسلام أو يهودية أو نصرانية. فأي حرب هي إذن؟ يقول: هي حرب العدل والظلم، حرب الحق والباطل، حرب الخير والشر، حرب العالم مجتمعا ضد طاغية وحشي واحد، صدام. هذه هي وجهة نظر أمريكا تذاع على العالم في أجهزة الإعلام من راديو وتلفاز وصحف. ولقد قبل بها العالم الغربي، ويحسبون أنها حرب الحق.

ولكن هناك كثير من المراقبين، ذوي النظر العميق.. يرفضون هذا الرأي، أتحدث عن المراقبين الغربيين، من بينهم سياسيون على قدر كبير من الخبرة، ومنهم علماء ومحرر و أخبار أذكياء، ترتفع أصوات من كل طبقة منهم، بأن كل تلك الادعاءات كذب محض ودعاية مزروة. لقد خَدَعنا قادتنا، ولا يزالون يخدعوننا جهارا نهارا. إنها حرب تختلف عما يقولون. هناك إدوارد هيت، رئيس وزراء بريطانيا الأسبق، وهو من بين الشخصيات العظيمة المعدودة في بريطانيا بعمق نظره وذكائه وحكمته السياسية وخبرته الواسعة.. لم يزل هذا الرجل على الموقف القائل: زعماؤنا السياسيون الحاليون يخدعوننا كثيرا. وما يعلنون من أهداف صالحة ليس حقا أبدا. هذه حرب إثرة شديدة، حرب ظالمة حمقاء ستكون لها عواقب رهيبة وسيئة، وسيكون الموقف بعدها أشد خطرا مما قبل.

وصوت ثان.. يقول بإيجاز: إنها حرب بترول. حرب مصالح أنانية، حرب الدفاع عن إسرائيل، وحرب تحقيق أهداف إسرائيل.

ويقول البعض: إنها حرب بين الرئيس بوش والرئيس صدام، وأن الأول جعلها مسألة تتعلق بأنانيته، فلم يعد تفكيره وعاطفته تحت سيطرته، وعندما يتحدث يفلت زمامه.. فيستخدم عبارات خاطئة كالأطفال.. لا يبدو قائلها كزعيم أمة كبير. ولذلك يرى هؤلاء المراقبون أن الحرب الجارية هي في الواقع حرب الرئيس بوش.. الذي يمقت الرئيس صدام مقتا شديدا، وأن الطريقة التي رفض بها الرئيس صدام السيطرة الأمريكية، وأبى أن يرهب أمريكا.. أثارت غضب بوش وأخرجته عن طوره.

دعونا الآن ننظر ما هو الموقف الصحيح. الجماعة الإسلامية الأحمدية لا تبني رأيها ولا تتخذ قرارها على أساس من العواطف، فنحن لا نهتم لأنفسنا فقط وإنما نبالي بالعالم كله، وبالرغم من ضعفنا وعجزنا وقلة عددنا.. يؤمن كل واحد منا يقينا بأن الله تعالى قد آتانا قيادة العالم؛ أعني جعلنا الله «قائد» هذا العالم في مجال الخدمة. ومعنى «القائد» هو كما بيّنه المصطفى ﷺ في قوله: «سيد القوم خادمهم». فقائد الأمة خادمها؛ أو بعبارة أخرى: القائد

والخادم لفظان يدلان على نفس المعنى. إذا كان المرء لا يعرف كيف يخدم فلا حق له في القيادة. وإذا أُعطيَ المرء القيادة فالخدمة واجبة عليه. بهذا المعنى أتحدث عن كوننا «قادة» وليس بأي مفهوم آخر. وإذن واجبنا خدمة بني البشر، وعلينا تعليمهم كيف يميزون بين الخطأ والصواب، ونحاول أن نوضح لهم أين مصالح الناس، وأي الأمور ينفعهم وأيها يضرهم.

ومن هذا المنطلق أود توضيح هذا الموضوع تماما. ثم إذا فهمه الأحمديون وجب عليهم رفع الصوت قدر استطاعتهم، والسعي لتغيير آراء مجتمعهم.

بدأت هذه المشكلة في واقع الأمر قرب نهاية القرن الماضي. فالحرب التي نشهدها اليوم لها جذور عميقة. في سنة ١٨٩٧م تأسس مجلس لخدمة الأهداف الصهيونية، ذو صلة بطائفة من اليهود الذين يعتقدون في مملكة داود، ويؤمنون بأنها لا بد وأن تتوطد في العالم في يوم من الأيام، ويسمَّون الصهاينة أو الإسرائيليين. هكذا تأسس المجلس الصهيوني العالمي، وأذاعوا إعلانا نترك تفاصيله الآن. وحوالي نفس السنة كشف النقاب عن وثيقة يهودية تسمى «بروتوكول رؤساء صهيون». وكلمة صهيون ترمز للحركة الصهيونية، وهي اسم لجبل يقولون إن سيدنا «داود» أُعطيَ الوعد عنده. على أي حال، كلمة صهيون عندهم تعني إسرائيل. وضع رؤساء إسرائيل الأعلون الذين يؤمنون بالصهيونية خطة: كيف يؤسسون سيادتهم على العالم، وكيف يكون خط سير عملهم، وما هي المبادئ التي يعملون عليها، وما هي أهدافهم، وأي الطرق ينتهجون.. وما إلى ذلك. ضمّنوا كل ذلك في نشرة صغيرة، لا أذكر تاريخها، ولكني متأكد من أنه في نهاية القرن التاسع عشر، حول عام ١٨٩٧ تقريبا. وقع هذا المستند في يد سيدة روسية، كانت تعمل سكرتيرة لرؤساء صهيون في ألمانيا. وكانت صديقة لأحدهم، وذات مرة كانت تنتظره في بيته. ولما تأخر حضوره، التقطت شيئا تقرأه من فوق المنضدة لتقطع به الوقت، فكان وثيقة «بروتوكول رؤساء صهيون». فزعت المرأة لقراءة هذه الوثيقة التى احتوت على مؤامرة رهيبة لغزو العالم. فأسرعت بالفرار ومعها الوثيقة، وذهبت إلى روسيا حيث نُشرت الترجمة الروسية للوثيقة لأول مرة سنة ١٩٠٥.

وفي هذه الفترة أعدوا خطتهم السرية من جهة، ومن جهة ثانية أعلنوا خطة أخرى. وليس هناك جدال حول هذه الخطة الثانية المعلنة، فهم يقولون: نعم هذه كانت خطتنا، وكشفنا عنها، وهي ترمي إلى تنظيم جهود اليهود لزيادة اتصالاتهم بالحكومات وتنمية تأثيرهم للحصول على وطن منفصل لهم.

أما الخطة السرية فقد ذكروا فيها شيئا عن الأمم المتحدة قبل أن تكون هناك فكرة لإنشاء أمم متحدة أو عصبة أمم. ذكرت الوثيقة موضوع الأمم المتحدة، وأن اليهود بعد نجاحهم في إنشائها سوف يسيطرون عليها، ومن خلال هذه السيطرة سوف يوطدون سيطرتهم على العالم كله. هكذا كانت خطتهم: السيطرة على الأمم المتحدة، ومن ثم السيطرة على العالم.

كان من الطبيعي أن يستغرق تنفيذ هذه الخطة سنوات طويلة.. ولكنهم ما برحوا يجتازون المراحل واحدة بعد الأخرى.. تلك المراحل التي وردت في الوثيقة والتي قالوا: إنهم بعدها سوف يصلون بالخطة إلى كمالها. وعندما أعلن اليهود براءتهم من هذه الوثيقة، التي تكشف خطتهم السرية، قالوا: إنها ليست خطتنا، ولكنهم نسبوها إلينا.. تبارى أهل الدراسة والسياسة والثقافة في العالم في إبداء الآراء حتى رُفعت القضايا أمام كثير من المحاكم. وقام أحد البروتستانت في بريطانيا ببحوث مستفيضة حول هذا الموضوع، ونشر كتابا تحت اسم «الماء ينساب نحو الشرق» (Water Flowing Eastward)، يناقش فيه كل تلك الجوانب. لقد أتيح لي قراءة الكتاب منذ عشرين عاما، واستعاره مني أحد الأصدقاء، ولا أعرف أين ذهب بعد ذلك. وحاولت العثور على الكتاب في بريطانيا، ولكنه اختفى من الأسواق. وسواء صح القول بأن اليهود سارعوا بسحبه من السوق أم لا.. فهذا ما حدث بالفعل، وهذه تجربتنا. ولا أستطيع القطع بنفس كلمات الكتاب، ولكن ما أقوله عن هذا الموضوع صحيح في أساسه. كتب المؤلف أنه عندما سئل أحد السياسيين الغربيين: هل هذه الوثيقة المنسوبة إلى اليهود، في رأيك، من عمل رؤساء صهيون حقا، وهل هي خطتهم أم مؤامرة عليهم لتشويه سمعتهم؟ أجاب: في ظني أن هناك احتمالين: إما أن تكون هذه خطة القوم الذين نسبت إليهم، لأن كل ما حدث بعد ذلك حدث بحسب الخطة تماما. فكيف يمكن للأحداث أن تقع هكذا تلقائيا، بنفس الترتيب، وبنفس التفاصيل؟ أو أن هذا الكتاب من وضع أحد الأنبياء الذي يملك قدرة عظيمة على التنبؤ بحسب ما يتلقاه من علم إلهي. ومعنى قوله هذا أن هناك احتمالين: إما أن تكون الوثيقة من إعداد كذابين كبار.. وضعوا خطتهم وينكرونها الآن.. أو من عمل رجل صالح صادق أطلعه الله تعالى على الأحداث التي سوف تقع مستقبلا!

والفترة التي دخلناها اليوم هي فترة المرحلة النهائية. وعندما جاء السلام بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، وكان جدار برلين يتساقط.. تذكرت هذا المخطط. ومع أن الكتاب لم يكن بيدي كي يُنعش ذاكرتي.. لكني أعرف بأن ما ورد في نهاية الكتاب يقول: «وفي الأخير، سوف نقسم العالم أولا، ثم نوحده. ويكون هذا بعد أن تكون سيطرتنا قد توطدت تماما على الأمم المتحدة».

منذ ذلك الوقت وقلبي يخفق بشدة أن قد حان اليوم المريع..

يوم تحقيق خطتهم. ولكن بالرغم من هذا الخوف الذي هو أمر طبيعي بعد ظهور كل تلك العلامات، فإني أيضا على إيمان وثيق من أن خطتهم سوف تبوء في النهاية بالفشل. وينبني إعلاني هذا على إلهام للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.. تلقاه عام ١٩٠١: «إن المأسونية لن يسلّطوا كي يهلكوه». وفي ١٩٠٥م انكشفت هذه الخطة أمام العالم بترجمتها الروسية.. والتي تتلخص في أن الماسونية سوف تسود. ففي الوقت الذي لم يكن في ذهن أحد فكرة عن الماسونية.. تلقى سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ذلك الإلهام. كانت قلة قليلة من الناس وخاصة في الهند يعرفون شيئا عن الماسونية. ثم في قرية مثل قاديان بالهند يتلقى سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام مثل هذا الإلهام. إن هذا لشيء مدهش حقا! لذلك فإن إيماني متين بأن خطتهم مقدر لها الفشل والخيبة في نهاية الأمر، ولكنها قبل هزيمتها سوف تنفث سمومًا خطيرة جدًّا في العالم، وسوف تثور بسببها براكين عديدة.. تقع على أثرها كثير من الزلازل، ويحدث دمار كثير، وتعاني الأمم بلاء شديدًا، وسوف نمرّ بأشد الأيام خطورة، لأن مثل هذه الخطة لا يمكن أن تنهزم هكذا تلقائيا وفجأة. بعد جهد كبير سوف تبدي هذه الخطة كل خصائصها الخفية، ولا مناص من أن ينتصر قضاء الله تعالى في إحباطها. ولكن ينبغي علينا أن نوطن أنفسنا ذهنيا على أن الجنس البشري سوف يمر في محن شديدة، وسوف يواجه الإنسان مصاعب عظمية. ولا مناص أيضا من أن يشارك المسلمون الأحمديون في ذلك إلى حد ما. فليس من المعقول في أوقات الشدة القومية والابتلاءات أن تبقى جماعة صالحة بمنأى عنها تماما.. بل إنها لا بد وأن تعاني إلى حد ما. ولكن بعد أن ينقضي كل ذلك.. سوف تأتي في النهاية أيام ازدهار الإسلام، والنصر والغلبة للأحمدية. هذا هو القدر النهائي المحتوم، وهذا في الواقع هو «النظام العالمي الجديد». هو ليس بالنظام العالمي الذي يجول بذهن الرئيس بوش، والذي يريد وضعه أمام العالم كنظام جديد.

أترك هذا الموضوع إلى هذا الحد.. لأعود إلى ما كنت أقول من أن أساس الموقف الراهن وُضع من حيث الظاهر في عام ١٨٩٧م عندما أعلنوا الشروع في جهودهم لإقامة دولة إسرائيل. ثم الخطوة الثانية الهامة بعد ذلك شهدناها في عام ١٩١٧م، عندما كتب بلفور (Balfour)، وزير خارجية بريطانيا رسالة إلى يهودي ثري جدًّا كان ممثلاً لليهود وهو لورد روتشيلد (Rothschild)، يبلغه فيها بقرار الحكومة القاضي بمساندتها ومساعدتها الحصول على وطن قومي لليهود في فلسطين. والقرار موجود ويمكن الحصول عليه كوثيقة مطبوعة. وكانت هذه الفترة فيما بين عامي ١٩١٥ إلى ١٩١٩م أشد وأبغض فترات التآمر ضد الإسلام. ولقد لعبت الحكومة البريطانية وقتئذ أكبر دور وقامت بأعظم قسط من هذه المؤامرات.. وسأقدم لكم بعض الأمثلة على ذلك.

أشرت آنفا إلى إعلان قيام الصهيوني العالمي الأول عام ١٨٩٧م. كان رئيس هذا المؤتمر في ذلك الوقت الدكتور ثيودور هرتزل (Dr. Theodor Herzl). ونشر هذا المشروع رسميا في أغسطس عام ١٨٩٧م. كما أشرت أيضا إلى وعد بلفور في رسالته التي كتبها إلى روتشيلد عام ١٩١٧م. قبل ذلك بعام أي عام ١٩١٦، كتب مستر ماك ماهون (Mr. Mc. Mahon)، ممثل الحكومة البريطانية، رسالة إلى حاكم مكة والمدينة والحجاز الشريف حسين، وهو من عائلة من شرق الأردن، وكان ممثلا للحكومة التركية في إقليم الحجاز. تتلخص رسالة «ماك ماهون» إلى شريف مكة هذا أنه لو عَاهَدَ معهم معاهدة فإنهم سوف يحرّرونه من حكم «الأتراك الظالمين» ويساعدونه لإقامة دولة عربية حرة، وفي نظير ذلك يعطيهم كيت وكيت من الامتيازات. كانت بعض المناطق في خريطة المنطقة تحمل علامة (ا)، والبعض الآخر علامة (ب).. يعني بعضها منطقة نفوذ فرنسي، وبعضها منطقة نفوذ بريطاني. وملخص كل تلك الشروط هو أن سلطة صياغة السياسة الخارجية ستكون في يد البريطانيين أو الفرنسيين، ولن يُسمح لك عمل شيء في مناطق نفوذ الدولتين إلا بمشورتهما وبعد إذنهما، كما لا يجوز لك أن تقابل مراقبا أو مستشارا أوربيا ما لم تحصل على إذن من السلطة البريطانية في المناطق الخاضعة لنفوذهم، أو من السلطة الفرنسية في مناطق سيطرتهم.

فمن جهة كانوا يتحاورون مع حاكم مكة، ومن جهة ثانية كانوا يتواطأون مع زعماء الطائفة الوهابية.. عائلة سعود.. أنه إذا عقدتم معاهدة معنا تقبلون بها الإشراف البريطاني على منطقتكم إلى الأبد، ولا تشكلون سياستكم الخارجية إلا بموافقة بريطانيا.. وتعيننا على إسقاط الحكومة التركية، فسوف نساعدكم على إقامة حكمكم بأرض الحجاز، ونعدكم بالمحافظة على حكومتكم إلى الأبد، ونسبغ عليكم حمايتنا، فلا ينظر إليكم أحد بنظرة تكرهونها. وأتموا معاهدتهم على ذلك مع شروط أخرى. وبعد سنوات قلائل نظموا حسب المخطط هجوما أطاحوا به بحاكم مكة.

ففي الفترة من عام ١٩١٥م حتى ١٩١٧م كانوا يجرون محادثاتهم مع والي مكة في جانب، ويتفقون من الجانب الآخر مع السعوديين خصوم والي مكة، ومن الجانب الثالث اتفقت روسيا وبريطانيا وفرنسا عام ١٩١٦م على تقسيم الإمبراطورية العثمانية.. وقرروا فيما بينهم نصيب كل من روسيا وفرنسا وبريطانيا من الغنيمة بعد تمزيقها.. لتدخل تحت حكمهم. وإلى جانب ذلك تمت اتفاقية إنجلو فرنسية لتقسيم الجزيرة العربية في خطة للسيطرة على المنطقة، ولم يدعوا شيئا لروسيا في الجزيرة العربية، وجعلوها حكرا لبريطانيا وفرنسا.

وداخل هذا الإطار يسهل فهم ما وقع من حروب، والدور الذي قامت به هاتان الدولتان فيها. وإذا حللنا الموقف الراهن من وجهة النظر هذه أمكن لكم فهم أهدافهم بسهولة نسبية.

ولكني قبل المضي في هذا البحث.. أود ذكر لغز يرتبط بهذه الأمور ارتباطا عميقا. فهناك شيئان لا يتوقع المرء بصفة عامة إمكان حدوثهما.. مع أنهما واقعان فعلا. أولهما أن الشرق الأوسط أضعف مناطق العالم في قدرته الدفاعية ونموه الصناعي أيضا.. فما هذا اللغز؟ حيث يوجد المال.. لا يوجد حراس؟ ومع أنهم هنا يضعون ترتيبات أمنية محكمة حول بضع سبائك من الذهب.. فإن المنطقة التي تمثل جبالا من الذهب تُترك من ناحية الأمن منطقة «فراغ عسكري»؟ وما بها من قوات لا تتناسب مطلقا مع الثروة الموجودة فيها؟ لماذا يكون الوضع هكذا؟ لماذا تركوا المنطقة على الضعف؟ في حين أن إسرائيل وهي جزء صغير من المنطقة، وليس بها ثروة بترولية جعلوا منها قوة متميزة! عجبا.. حيث يوجد المال يكون البلد ضعيفا، ومن حيث يكون خطر الهجوم للسلب والسرقة يكون البلد قويا! هذا لغز يتطلب تفسيرا وحلا.

وهناك لغز آخر، عندما عرض صدام حسين ربط مسألة الكويت بغيرها رفضت أمريكا وحلفاؤها وقالوا: أن لا علاقة بين المسألة الكويتية وغيرها. قال الرئيس صدام: إن الاحتلال الإسرائيلي متعلق بالكويت، وينبغي حل المسألتين وتسويتهما معا. ولو أنهم قبلوا بهذه الصلة لأمكن حل المشكلة.. والتزم صدام بسحب قواته وعدوانه من منطقة الكويت.. والتزم اليهود الصهاينة المعتدون على الضفة الغربية في الأردن بالانسحاب منها. أَوقِفوا العدوان الأول، وأوقفوا العدوان الثاني ويُسوَّى النزاع ويستقر العدل وينتهي الأمر عند هذا الحد. كان هذا هو غرض الرئيس صدام عندما كان يردد ويؤكد على الربط بين المسألتين.

وتعمدت القوات الكبرى المتصلة بالمشكلة لعرضها بطريقة أخرى، وعملت على خداع الرأي العام العالمي.. في حين أن موقف الرئيس صدام كان تماما كما شرحته لكم. تعمد العالم الغربي أن يخطِّئ مسألة الربط بين القضيتين، وعَرَضَ فكرة الرئيس صدام هكذا: بما أن إسرائيل قامت باحتلال جزء من دولة مسلمة شقيقة، فقد أغضبه ذلك، وقام باحتلال بلد مسلم شقيق.. والمسألتان سيّان شكلا وموضوعا. ولما كان هذا العرض غير منطقي فإنهم أخذوا يسخرون منه، وأعلنوا أنه باطل وبلا معنى، وقالوا كيف يمكن ذلك.. والعالم كله يعلم أن النزاع بين العراق والكويت هو حول البترول ومسألة بيعه وسعره وغير ذلك من الأمور..؟ فبسبب هذا النزاع قرر العراق احتلال الكويت، واتخذه مبررًا، والحقيقة أن العراق استهدف الاستيلاء على الثروة البترولية في الكويت. فكيف يمكن الربط بين هذين المسألتين وليس بينهما أي صلة.

والواقع أن بينهما صلة عميقة كما ذكرت آنفا. قال صدام: إذا كنتم تعارضون الاحتلال.. فالواجب عليكم أن تضعوا نهاية لعدوان واحتلال واقع، وسوف أضع حدًا ونهاية مثلكم.. ويسوَّي الموضوع. ولكنهم لم يكونوا على استعداد لقبول ذلك. ما السبب؟ لماذا هم على هذه الصلة العميقة مع إسرائيل؟ ما الداعي ليكونوا عبيدا للمصلحة الإسرائيلية، ويقدموا في سبيلها كل تلك الأثمان الكبيرة بما لا يمكن لأحد تصور حجمها؟ فعلى سبيل المثال ما هي قيمة بليون دولار؟ الفقراء من أمثالنا لا يستطيعون تخيل حجم بليون من الدولارات. بالنسبة لنا تكون بليون روبية مبلغا رهيبا.. ولكن بليون دولار فهو حقا مقدار هائل من المال. وطبقا للأرقام التي ظهرت فإن أمريكا وحدها تنفق بليون دولار كل يوم. وأيام الحرب مستمرة.. والإنفاق مستمر! وهناك أيضا إنفاق بريطاني وآخر فرنسي. وقد أنفقوا مبلغا كبيرا.. ودفعهم الموقف إلى التوجه نحو العالم بكيس تسولهم. والبريطانيون أكثر دبلوماسية من الأمريكان لخبرة اكتسبوها عبر القرون.. فدبلوماسيتهم ألطف وأدق. أرسلوا وزير خارجيتهم إلى ألمانيا، فأعطاهم الألمان ٦٠٠ أو ٧٠٠ مليون. وعندما أعلن الوزير هذا الأمر قال: لم نأت هنا لنتسول.. وليس معي كيس تسول. لا نحمل همًّا، ولم يكن في ذهني قدر معين من المال الذي سوف نحصل عليه مساهمة منكم بمثل هذا القدر الكبير. وإخواننا الألمان قوم عطوفون وأمة طيبة، وأحسوا أن من واجبهم مساعدة إخوانهم في شدتهم والمساهمة معهم في جهودهم الحربية.. ونحن نقبل منهم ذلك مع الامتنان والشكر.

في الليلة الماضية، عندما كان إدوارد هيت يشترك في المناظرة قال: إن هذا نهاية أكاذيبكم وخداعكم. لقد فضحتم أمتكم في العالم. تجوبون الدنيا بكيس الشحاذة. ما هو الداعي للتورط في هذه المصاعب التي لا تستطيعون تحملها، والتي لطختم بها شرف بريطانيا وعظمتها، وصرتم بسببها متسولين؟

وبالمقارنة مع هذا نجد الساسة الأمريكان على خشونة. المستر كويل موجود معنا هذه الأيام، وهو نائب رئيس الجمهورية في أمريكا، وكل ما يبديه من مقدرة وفكر يثير الضحك عند محرري الأخبار ويحكون فكاهات حولها. هؤلاء الساسة لا يملكون مهارة الكلمة ولا يعرفون كيف يغلفونها في بعض الأمور. إنهم يتبعون وسيلة للشحاذة تحت مسمى آخر. عندنا في البنجاب بعض الشحاذين لا يمدون أيديهم قائلين: أَعطُونا لله، ساعدونا بإحسان من فضلكم، فنحن نتضور جوعًا، ارحمونا.. ولكن هؤلاء الشحاذين يحملون عكازا ويقولون: أعطونا شيئا وإلا كسرنا رءوسكم! هذا هو الأسلوب الذي تتبعه أمريكا في تسولها: الشحاذة بالعصا. عندما سأل صحفي المستر كويل: ماذا تتوقعون

من العالم؟ قال: أي توقع؟ لقد قررنا تقاضي مبلغ كذا من دولة كذا، ومبلغ كيت من دولة كيت. لسنا مضطرين للشحاذة، سنخبرهم كم يدفعون. فسأله الصحفي: إذا لم يدفعوا فماذا تفعل؟ أجاب: إذا لم يدفعوا فإني أقول لك ألا يعتمدوا بعد ذلك على العلاقات مع أمريكا. وهذا بالطبع تهديد ضمني.

على أي حال فإنهم يدفعون الثمن، وأزالوا كل سمعة أقاموها لهم في عالم الإسلام. منذ وقت قريب كانت باكستان من الناحية العملية تابعا من توابع أمريكا، وقَبِلَ عامة الناس بهذا الوضع. واعتاد كل السياسيين أن يهرعوا إلى أمريكا من أجل رفع مركزهم واعتبارهم، وتوقفت ردود فعل العامة ضد هذا التصرف. واليوم.. اشتعلت نيران الكراهية في مدى بضعة أيام، وأصبحت كلمة أمريكا سُبَّة. وبالمثل حلت بريطانيا كل عُرى روابطها مع عالم الإسلام، ومسحت كل اسم حسن لها أقامته في زمن طويل.

لماذا يدفعون هذا الثمن. لماذا لم يقبلوا بالربط، وطلبوا من إسرائيل الانسحاب من كذا وكذا.. وينسحب العراق من كذا وكذا، وينتهي الموضوع؟ ينبغي علينا دراسة هذه الأمور بتفصيل أكثر. ما هي الأسباب العاملة خلف هذه الحرب.

التهمة الموجهة إليهم أنهم بسبب مصالحهم المشتركة مستعدون لتدمير العراق، وما تحرير الكويت سوى ذريعة.علينا أن نتفحص ذلك عن قرب ونرى هل هذه البلاد أبدت ردود فعل كهذه من قبل نتيجةً لمصالح مشتركة أو غير مشتركة. والدعوى الثانية بأنهم فعلوا ذلك لصالح إسرائيل.. وعلينا دراستها أيضا. فحيثما حارب اليهود المسلمين، والأحرى أن نقول إسرائيل، لأن من بين اليهود فئات يعارضون إسرائيل، وينتقد هؤلاء الأشرافُ علنًا عدوان إسرائيل، ولا يؤيدون أفعالها بأي شكل؛ لذلك يحسن أن نقول إسرائيل. لماذا ساندوا إسرائيل في كل مناسبة؟ إذا كانوا مؤيدين لهم فهل ذلك بسبب تحيز ديني.. أم هو مجرد مصالح؟ ما هو الهدف والغرض من إنشاء إسرائيل؟ لماذا يسعون جاهدين للحفاظ على وجودها بأعلى التكاليف؟ هذه هي التساؤلات التي سوف أجيب عليها إن شاء الله في خطبتي القادمة. وأترك المناقشة التاريخية هذه، وأصلها بما سأقدمه لكم من أحداث أساسية كانت تقع حتى يومنا هذا.. كي أُنعش ذاكرتكم. وبعد هذا التحليل، في الخطبة القادمة إن شاء الله، إن توفر لي الوقت، أو في الخطبة التي تليها بإذن الله تعالى سوف أقدم الحلول لهذه المشكلات من وجهة نظر الإسلام. لقد تأخر الوقت، ولذلك أنهي خطبتي.

اللهم مكّنْ لنا، نحن خدام محمد المصطفى ﷺ كي نقدم حلا لمشاكل العالم له قوة داخلية، بحيث إذا قبلوا به وجدوا سلاما أكيدا؛ أما إذا لم يقبلوا به فليفعلوا ما يشاءون، فلن يجدوا السلام ولن يُقروه. هذه هي القوة في الحل الصحيح، وهي قوة الحق. إذا قبل أحد الاقتراح الصحيح فإنه ينتفع به، أما إذا رفضه فسوف يقاسي الأضرار. ومادمتُ سوف أمثل الإسلام في حديثي.. فإني على يقين من أن كل حل أقدمه باسم الجماعة الإسلامية الأحمدية سيكون حلا لا ينبغي أن يستهان به. إذا قبلتم به فهو لصالحكم وخيركم ولصالح البشرية جمعاء، وإذا رفضتموه فمهما فعلتم لفض النزاع من الدنيا فلن ينفض، وستلقى كل جهودكم الهزيمة، وستنشب الحروب واحدة تلوى الأخرى، والنزاعات واحدة بعد أخرى، حتى يتلون المجتمع البشري بالدماء، ويُسلَب من الإنسان هدوءه وسلامه الداخلي. إني أؤمن، ما دمت بفضل الله تعالى أقدم حلا إسلاميا، فلن يكون هناك موقف آخر، فإما أن يقبلوا وينتفعوا به، أو يرفضوا ويتبعوا سبيل الضرر.

وأسأل الجماعة الأحمدية أن يدعوا الله تعالى ليحفظ قدرتي الذهنية والروحية ثابتة على التقوى.. فأرى بعين التقوى ونور التقوى.. وأقدم حلاً يضمن للجنس البشري سلاما أكيدا. اللهم آمين.

خطبة يوم ٨ فبراير ١٩٩١

منذ ستة أشهر تقريبا.. تحدثت عن هجوم هولاكو خان على مدينة بغداد، وخشيتُ أنه إذا لم يتخذ الرئيس صدام حسين خطوات حريصة، فستفرض عليه حرب مروعة هدّامة ستكون أفعال هولاكو خان بالقياس إليها ضربًا من الأحلام. وكل ما جرى حتى هذه اللحظة فظيع ومؤلم، وما سمعه العالم من أنباء تنزف لها قلوب العالم الإسلامي جميعه. ولكن الأخبار المذاعة لا تساوي عشر معشار ما سوف تكشف أخبار ما بعد الحرب شيئا فشيئا. وفي تقديري أن مئات الألوف من المدنيين والعسكريين قد قُتلوا وأصيبوا في عمليات القصف. إنه لدمار هائل ذلك الذي حاق بالسكان المدنيين ولم يكشف عنه النقاب بعد. ثم إن نوعية العمليات الحربية التي تجري ضد الجيش العراقي لا تعكس موقفا حربيا، وإنما هي كمن يقيد أحدا ثم يقطع أوصاله بالتدريج، فيبدأ بخلع أظافره، ثم قطع أصابعه، ثم نزع قواطعه، ثم بتر أطرافه.. وبعد ذلك ينادي: أيها الليوث البواسل.. هلموا وهاجموا ذلك الرجل. وما داموا غير واثقين من أن الرجل لا يستطيع حيلة بذراعه المبتورة فلن يسمحوا لأبطالهم البواسل بمهاجمته. هذا هو وصف وجيز بكلماتي لهذه الحرب الراهنة.

يتحدث الجنرالات الأمريكيون الذين يقودون هذه الحرب عن صواريخ سكود العراقية وأثرها الذي لا يتعدى أثر بعوضة تقف على ظهر فيل. والواقع أن القوات المتحالفة كالفيل، والرجل الذي يعارضهم.. ويسمونه «هتلر العصر» ليس في المجال العملي أكثر من بعوضة حسب قولهم. ومادامت هذه المعركة بين الفيل والبعوضة مستمرة.. فأرى مؤامرتهم الخبيثة لتدمير تلك البلد

المسلمة قد قاربت التمام.

وليس من واجبى أن أعلق على هذه الحرب؛ وليس هدفى أن أخبر الجماعة بما يحدث اليوم في هذه الحرب أو ما حدث بالأمس أو ما سيحدث في المستقبل، إنما غرضي أن أضع أمامكم الخلفية التاريخية لهذه الحرب واضحةً، وعلى ضوئها يمكن للمسلمين الأحمديين وغيرهم في أنحاء العالم، الذين وصل إليهم هذا الصوت.. أن يتفهموا الموقف تماما، من ناحية ما حدث، ولماذا يحدث، وما هو الدور الذي لعبه العالم الغربي حتى الآن، وما هو الدور الذي سيلعبونه في المستقبل، وماهو الدور الذي قامت به الأمم المتحدة، وما هو الدور الذي قامت به عصبة الأمم من قبل، وما هي الروابط المتبادلة بينهم، وما روابطهم مع اليهود، ولماذا لهم مثل هذه الروابط، وإلى أي مدى تورطت أخطاء المسلمين في هذا؟ وبعد كل هذه التحاليل، وبقدر ما يمكنني ربي، أهدف إلى أن أضع أمامكم ما أنصح به تلك الأمم فرادى فرادى، أعنى بتفهم هذا الموضوع تماما يصبح الحل لكل هذه المسائل واضحا بنفسه. والواقع أن تشخيص المرض هو الأهم. فلو كان التشخيص صحيحا فلن يصعب التوصل إلى العلاج الصحيح. ولذلك سوف أوجه نصحي لليهود، وللأمم المسيحية، وللمسلمين، وإلى البشر جميعا.. لأدلهم على نوع المعاملة العادلة التي ينبغي عليهم انتهاجها طلبا للسلام الدائم.

سوف أبحث معكم الآن باختصار الخلفية التاريخية البعيدة لهذه المشكلة، التي تسمى المشكلة الفلسطينية، أو التي نعرفها اليوم باسم حرب الخليج.

ذكرتُ من قبل وعد بلفور الذي منحه لليهود عام ١٩١٧م، وبعده وقعتْ حادثة مدهشة عام ١٩٢٢م إذ وضعت عصبة الأمم فلسطينَ تحت الانتداب البريطاني. واشتمل قرار الانتداب مسئولية الحكومة البريطانية المشرفة على فلسطين في تحقيق وعد بلفور وتنفيذه. ويندر أن تقع حادثة ظالمة كهذا التآمر المشترك من قبل هذه الأمم؛ فعصبة الأمم تمثل العالم كله، ولم يكن من مسئولياتها بحال من الأحوال أن تضمن قرارها ما جاء في رسالة وزير بريطاني إلى لورد روتشيلد اليهودي رجل البنوك في فرنسا.. والتي يقول فيها بأن وزارتنا تبحث منحكم وعدا بوطن يهودي. فمن أعطى عصبة الأمم هذه السلطة لتوزع الحظوظ بين العالمين، فتعطي حق الإشراف لدولة أصدرت هذا الوعد من عندها.. وتمكّنها من تنفيذ وعدها بالطريقة التي تشاء؟ ومع قرار الانتداب وافقت عصبة الأمم على تهجير ألف يهودي وتوطينهم في فلسطين!

وبدأ البريطانيون بتنفيذ هذا الأمر. وفي ١٧، ٥، ١٩٣٩ قبيل الحرب العالمية الثانية.. نشر البريطانيون «الورقة البيضاء» بعد أن استقر أكثر من مائة ألف من اليهود في فلسطين. وبحسب هذه الورقة البيضاء بدلوا سياستهم السابقة. كانت حكومة تشمبرلين (Chemberlane) في السلطة، فأعرب عن رأيه بأننا على حافة حرب عالمية ثانية، ولو أصدرنا قرارا ضد اليهود غضبوا وصاروا أعداء لنا، أو ضد العرب كانوا لنا أعداء. وأرى أن يكون القرار ضد اليهود وليس ضد العرب، لأن الحرب وشيكة الوقوع.

كان القرار الأول قبل الحرب العالمية الأولى، والقرار الثاني قبل الحرب العالمية الثانية، وكان هذا الأخير مبنيا على اعتبارات سياسية.. وليس على الأمانة. أعلنوا رسميا في ورقتهم البيضاء أن الحكومة البريطانية لا تؤيد إقامة حكومة يهودية في فلسطين، ولا تقبل بحق اليهود في إقامة حكومة لهم فيها. ولكنهم في نفس الوقت سمحوا ل ٧٥ ألفًا من اليهود بالهجرة والاستقرار في فلسطين. بدأت العملية بمائة ألف ثم زادت ٧٥ ألفًا آخرين.

لو كانوا أمناء في قرارهم لردوا الانتداب إلى عصبة الأمم قائلين: إن حكومتنا لم تعد في جانب القرار الذي كلفتموها به.. لذا كان ينبغي إنهاء الانتداب تلقائيا، ولكنهم في الواقع سمحوا بزيادة حصة إضافية من المهاجرين اليهود، ثم حصة ثالثة عام ١٩٤٦م من ١٠٠ ألف يهودي! وانتهى الانتداب عام ١٩٤٨م.

قيل إن عدد السكان اليهود كان ٨٥ ألفًا عام ١٩١٩م، وهناك خلاف كثير حول هذا العدد يتطلب بحثا كثيرا، ولكن يبدو أنه رقم صحيح. وفي عام ١٩٤٧م، قرب نهاية الانتداب، عندما أعلنت الأمم المتحدة ضرورة تقسيم فلسطين، وإقامة حكومة يهودية، وحكومة عربية مسلمة، كان عدد اليهود قد ارتفع إلى ٧٠٠ ألف يهودي. وكان مجموع السكان العرب الفلسطينيين العرب طبقًا لبعض الإحصائيات مليونين، أي أن النسبة ١ : ٣. وبالنظر إلى شروط الانتداب .. ما كان يمكن أن يزداد عدد اليهود إلى ٧٠٠ ألف، ولكن البحث دل على أن اليهود كانوا يهربون إلى هناك بأعداد كبيرة. فبرغم الجهد الحقيقي في بعض المرات من جانب الحكومة البريطانية لوقف التهرب، استمرت عملية التهريب. وكلما حاولت الحكومة وقفها ثار اليهود ضدهم وقاموا بأعمال انتقامية.

على كل حال كانت النسبة العددية ٧ : ٢٠ عندما اجتمعت الأمم المتحدة لتتخذ قرار التقسيم، وتحدد أي المناطق لليهود وأيها للمسلمين. صدر القرار ليعطي ٥٦ بالمائة من مساحة فلسطين لليهود، والباقي ٤٤ بالمائة يخصم منها مدينة القدس لتكون تحت الإشراف الدولي.. لأنها أرض مقدسة عند اليهود والنصارى والمسلمين أيضا؛ وما تبقى بعد ذلك يخصص للعرب. وأعلنوا في نفس القرار أيضا فيما يتعلق بإقامة حكومة لكل فريق في منطقته.. ضرورة أن تتعاون الحكومة البريطانية مع الأمم المتحدة، وتقوم لجنة معينة من هيئة الأمم، لتنفيذ ذلك تماما بالتعاون مع

الحكومة البريطانية.

ولكن ما نفذ عمليا هو أن الحكومة البريطانية رفضت التعاون، ونتيجة لذلك كان حال المسلمين في قلق وعدم استقرار وفوضى.. إذ لم يكن لديهم تنظيم قادر على تشكيل حكومة مناسبة. أما اليهود فكان لهم تنظيمان: أحدهما تحت قيادة مناحم بيجن الذي أنشأ منظمة إرهابية قوية قبل عام ١٩٤٨، وكانت تستخدم الإرهاب ضد البريطانيين والعرب؛ ومنظمة ثانية بقيادة بن جوريون. وكانوا يتلقون كميات ضخمة من العتاد والسلاح من أمريكا. فأقاموا عدة منظمات للدفاع عن منطقتهم وتمكين حكومتهم.. وأيضا للاستيلاء على الأرض من العرب. وهكذا في غضون عام ونصف، من ١٩٤٨ إلى ١٩٤٩م وقعت أعمال عدائية بين اليهود والعرب، اشترك فيها بعض الدول العربية المجاورة، واشتعلت بينهم حرب غير رسمية، بمعنى أنه لم تعلن حربًا رسمية ضد إسرائيل، وإنما استمرت تلك الدول تساعد العرب الفلسطينيين. وأخيرا عندما تقرر وقف إطلاق النار في عام ١٩٤٩.. كان اليهود يحتلون ٧٥ بالمائة من الأرض بدلا من ٥٦ بالمائة المقررة لهم!

هكذا كان مسلك الأمم المتحدة، والحكومة البريطانية والحكومة الأمريكية. هناك تفاصيل مستفيضة وعندي مراجعها.. ولكني لا أريد شغل خطبي كلها في هذا، والخلاصة: شاركت عُصبة الأمم والأمم المتحدة في مؤامرة دولية.. مشاركة كاملة؛ ولعبت كل من بريطانيا وأمريكا دورا لإقامة حكومة يهودية في فلسطين، ما كان لها أن تقوم أبدا بناء على أي نوع من العدل. وبالنظر إلى القوانين الدولية وميثاق الأمم المتحدة.. ما كان من الممكن حتى اتخاذ الخطوة الأولى من هذه المؤامرة، ولكنهم قاموا بها، وبعدها بدأت الأعمال العسكرية.

في هذه المنطقة وقعت عمليتان؛ إحداهما كانت للدفاع عن المصالح الغربية وإن قاموا بها باسم مصالح العالم، قالوا هي لصالح المجتمع العالمي، ولكنها في الحقيقة كانت لمصالح غربية بحتة. وقام بالدور الأكبر فيها كل من بريطانيا وفرنسا، وكانت أمريكا تظاهرهما دائما. كانت العملية الأولى ضد إيران. ففي عام ١٩٥٠م قرر البرلمان الإيراني أنه بالنظر إلى جشع العالم الخارجي وأطماعه في ثروتنا البترولية.. نرفض العرض الروسي للمشاركة في حقول بترولنا الشمالية. عرض الاتحاد السوفييتي عليهم أنكم سمحتم للشركة البريطانية الإيرانية للعمل في حقول النفط الجنوبية، وبموافقتكم يحفرون آبار البترول لكم وينتفعون بها.. فاسمحوا لنا أيضا بذلك. فقرر البرلمان الإيراني ألا يسمح للسوفييت بالتنقيب عن البترول في الشمال، كما قرروا مراجعة الاتفاقية المعقودة مع الشركة البريطانية من وقت لآخر، على أن تكون أول مراجعة عام ١٩٥١.

فابتهجوا في أمريكا لهذا القرار، وصفقوا له لأن عينهم كانت على القرار الخاص بالاتحاد السوفييتي.

وفي عام ١٩٥١م عندما حان وقت مراجعة الاتفاقية.. كانت الشركة من القوة بحيث لم تتخيل بريطانيا وأمريكا أن بوسع إيران إدخال أي تغيير في الشركة وهي مشتركة بين بريطانيا وإيران. ويمكنكم تصور مدى نفوذ هذه الشركة إذا علمتم أن الإتاوة أو الضرائب التي كانت تدفعها للحكومة الإيرانية تمثل نصف الميزانية الإجمالية لإيران. وكان ما تدفعه لبريطانيا أكثر، وكان ما تحصل عليه الشركة من أرباح يزيد عن ذلك عشرة أضعاف. ومعنى ذلك أن أرباح الشركة كانت تفوق الدخل القومي لإيران خمسة أضعاف. لذلك لم يتخيلوا أن يصدر قرار ضدهم. وعندما عرضت المسألة أمام البرلمان، وكان رئيس الحكومة آنذاك قد باع نفسه للشركة، فقدم تقريرا ادعى فيه أن تأميم الشركة يتعارض بشدة مع مصالح إيران. فهاج البرلمان، وقُتل الرجل رميا بالرصاص، وانتخبوا دكتور مصدق رئيسا للوزارة. ولما كان الرجل مخلصا حقا للمصالح الإيرانية.. بدأت أجراس الحرب تدق. اتصلت بريطانيا أولا مع أمريكا، وكانوا قبلها قد أعدوا قواتهم المحمولة جوا في قاعدة موريشوس لتهاجم إيران. ولكن أمريكا أخبرتهم بأن هذه ليست الطريقة السليمة، وأنها ستسوي المسألة بطريقة أخرى. وبالضغط على أمريكا تمكنوا من إعداد مؤامرة قام بها مخابرات بريطانيا (ISI)ومخابرات أمريكا (CIA). تم هذا الاتفاق سرا بين مستر سنكلير رئيس ال (ISI)، ومستر كيم روزفلت ممثل ال (CIA). واستخدمت أمريكا نفوذها لمقاطعة بترول إيران. ولما كان نصف الدخل القومي لإيران من دخل البترول لذلك حدثت أزمة مالية كبيرة عندما توقف بيع النفط الإيراني. وفي منتصف عام ١٩٥٢ طلب دكتور مصدق من رئيس أمريكا معونة مالية مؤقتة للتغلب على الأزمة يسدّدونها بعد تسوية النزاع. ولكن الرئيس الأمريكي أجابه بأنه ليس في صالح دافعي الضرائب في أمريكا لينقل الأموال إلى إيران.. في حين أنها قادرة على الحصول بنفسها، فأمامهم خيار بسيط.. وافقوا على شروط الشركة البريطانية للبترول لتحصلوا على المال منهم، والشركة مستعدة لذلك. فأدرك دكتور مصدق سوء طويتهم، ولم يكن بوسعه فعل شيء.

كانت خطة جهازي المخابرات (CIA)، و(ISI)، قد اكتملت قبل رد الرئيس الأمريكي بأربعة أيام، واعتمدها ووقع عليها رئيس أمريكا بالتنفيذ. كانت عملية طويلة، وتتلخص في السيطرة على الشرطة والجيش الإيراني.. وهذا أسلوبهم المعتاد عند القيام بانقلاب عسكري؛ فاشتروا رؤساء الإدارات، وفازوا في العملية التي قادها كيم روزفلت. فأُعطِيَ ميدالية الشرف التي لا تعطى إلا نادرا للأبطال في أمريكا.

أسفرت المؤامرة عن وقوع نزاع بين د. مصدق وشاه إيران،

وسعى كل منهما للفوز بأكبر قدر من السلطة ، وأصبح د. مصدق قائدا أعلى للجيش، وقرر تعيين رئيس الشرطة، ورشح رئيس الأركان. وذكر رئيس الشرطة متفاخرا أن بحوزته قائمة بأسماء عملاء بريطانيا يحفظها في قلبه، فاغتيل الرجل في اليوم التالي.

وعندما اكتملت الاستعدادات، أصدر الشاه أمرًا بإقالة د. مصدق. وقامت المظاهرات لتأييد رئيس الوزراء، ولكن جيشا مأجورا قوامه حوالي ٦٠٠٠ من المدربين المجهزين بأسلحة قوية، تغلبوا على المظاهرات إلى حد ما، ولكن المظاهرات كانت قوية ومنتشرة بحيث توقع الناس أن يتدخل الجيش كما هو المعتاد. فدفع ٢٠٠ ألف جندي لمساندة الشاه كما كان مخططا. وسُلِّطَ شاه إيران الذي كان انعكاسا كاملا لعبيد أمريكا وبريطانيا حتى لقِيَ نهايته الكئيبة

كانت هذه الحادثة الأولى التي ينبغي وضعها في الاعتبار من هذه الخلفية التاريخية. أما الحادثة الثانية فقد وقعت عام ١٩٥٦م عندما قرر الرئيس المصري عبد الناصر تأميم قناة السويس. ويتعلق هذا القرار بمشروع السد العالي عند بلدة أسوان في جنوب مصر. وعدت أمريكا جمال عبد الناصر بتمويل المشروع.. ولكن نظرا لميل الرئيس المصري نحو الاتحاد السوفيتي، ونظرا لعدم تخفيفه من معارضته لإسرائيل رغم تحذيرهم المتكرر.. ارتأت أمريكا أن تلقنه درسا، فسحبت وعدها. كان السد العالي حينذاك مشروعا كبير الأهمية لحياة مصر، وكان سيؤدي دورا كبيرا في الاقتصاد المصري والإنتاج الزراعي؛ وبدونه لا تستطيع مصر كفاية نفسها من طعام ونواح اقتصادية أخرى. كما أن المشروع كان قد وصل إلى مرحلة لا يمكن لمصر أن توجله. لذلك كله أممت مصر شركة قناة السويس لتمويل المشروع. كانت القناة تحت إشراف بريطانيا وفرنسا اللتين تملكان الجزء الأكبر من أسهم شركة القناة. وهنا قررت بريطانيا خطة أخرى لمعاقبة عبد الناصر ومصر بسبب تعرضهم لمصالحها. كانت خطتها سخيفة خرقاء، ولكنها شريرة للغاية. دفعوا إسرائيل للهجوم على مصر والوصول إلى قناة السويس. كان هجوما غير معلن وغير متوقع على مصر، ولم تكن لدى مصر قوة دفاعية قادرة على صد الهجوم المباغت.. لذلك كان مقدرا له النجاح السريع. عند ذلك يأمر الإنجليز والفرنسيون كلا من مصر وإسرائيل بالانسحاب بجيوشهما بعيدا عن قناة السويس، وتعلن الدولتان الغربيتان عن تدخلهما لصالح السلام. وهذا ما حدث تماما. وصلت القوات الإسرائيلية فجأة على الضفة الشرقية من القناة، وفي اليوم التالي صدر إنذار مشترك من بريطانيا وفرنسا موجه لمصر وإسرائيل لأنهما يتحاربان ويعرضان سلام العالم للخطر، لذلك يجب عليهما وقف العمليات الحربية والتراجع لمسافة معينة من شاطئ القناة. فوافقت إسرائيل على الفور حسب المخطط، ولكن مصر قالت: هذه أرضي ووطني، والقناة قناتي. فلماذا أسحب قواتي من أرضي؟ كيف يعقل هذا؟ يكفي أن ينسحب المهاجم المعتدي. عند ذلك هاجمت الدولتان مصر معا، وكانت حرب عام ١٩٥٦م.

أما عن دور بريطانيا في تلك الحرب.. فقد كتب وزير خارجيتها وقتئذ مستر نانتج (Nutting)، كتابا عنه. ودراسة هذا الكتاب تبين أن خط سير الأحداث الذي انتهجه البريطان ضد الرئيس جمال عبد الناصر ومصر هو بالضبط الخط الذي اتبعه مستر بوش ضد صدام والعراق، ويبدو أنه نسخة بالكربون من الموقف الراهن. وكما فعلوا ضد عبد الناصر فإنهم شرعوا يفتعلون أشد الحركات ترويعا لاغتيال شخصية الرئيس صدام، وقالوا كما قالوا من قبل: إننا نفعل ذلك لحماية المصالح العالمية.. ونيابة عن المجتمع العالمي. واللغة التي استخدمها الرئيس بوش ضد الرئيس صدام، ولا أستطيع ترديد ألفاظ السباب، ولكنه تحدَّث عن ضرورة ركله وطرده. وملخص ما ورد في الكتاب المُشار إليه آنفًا هو: الغرض من هذه الحرب هو ركل عبد الناصر من عليائه. واستخدم الرئيس بوش نفس العبارة عن ركل صدام وإنزاله من عليائه. وهذا هو الهدف الحقيقي من الحرب كما قرروا من قبل. قال بعض المعلقين: الواقع أن هذه الحرب تنشب بسبب جرح كبرياء الرئيس بوش. ومع أن ذلك ليس صحيحا.. لكن هناك دخل لكبرياء المستر بوش، ومن المؤكد أنه لم يكن الغرض الأساسي للحرب.

وجاء في كتاب وزير خارجيتهم عن رئيس الوزراء البريطاني مستر أنتوني إيدن (Anthony Eden)، أنه قام بهذه الحرب لمعاقبة عبد الناصر على جريمته.. فكيف لكولونيل مصر أن يتحدى رئيس وزراء الأمبراطورية البريطانية؟ ويقوم اليوم بعض المعلقين بعمل نفس التحاليل على المستر بوش. وهذه الحرب في الواقع تكرارا لحرب ١٩٥٦.. اليوم بسبب البترول، والبارحة بسبب قناة السويس. والقوى الثلاث البارزة في هذه الحرب.. هي نفسها التي كانت بارزة في الحرب الماضية؛ والفرق هنا أن أمريكا تقوم بدور إسرائيل، التي بقيت أو احتفظوا بها في خلفية الصورة.

والعجيب أنه عند انتهاء الانتداب عام ١٩٤٨م انسحبت بريطانيا من فلسطين بكيفية ليس لها مثيل. عند انسحابهم من الهند حين تقسيمها بين باكستان والهند أرضوا أنفسهم رسميا بإيجاد خط تقسيم رسمي، وقالوا لا بد من وجود حدود واضحة بين الدولتين، ولا بد من توطيد الحكومتين بطريقة لائقة. ولكنهم عندما انسحبوا من فلسطين.. وحتى اليوم الأخير.. لم يتخذوا خطوة واحدة، ولم يدعوا منظمة الأمم المتحدة لتتخذ أي خطوة في هذا السبيل. كانت سفنهم محملة وجاهزة للرحيل قبيل منتصف

الليل.. وغادروا كل مكان كان تحت أيديهم بمقتضى الانتداب، وعند منتصف الليل تماما أطلقوا صفارات الرحيل وغادروا البلد. كان ذلك منهم فعلا قاسيا، وقع أثره المدمر على رؤوس الفلسطينيين.

على أي حال.. هذان هما حربا المصالح اللتان كان القتال فيهما تحت نفس الاسم.

والحرب الثالثة هي حرب اليوم، وهي أيضا حرب مصالح. وإسرائيل مشاركة معهم في اللعبة بسلوكها، مع أنها محفوظة في الخلف. تؤدي أمريكا دورها وتنوب عنها.

أما الحروب الأخرى التي وقعت في منطقة الشرق الأوسط فيمكن تسميتها رغبة إسرائيل التوسيعية. وفي هذه الحروب ألقوا باللوم على الفلسطينيين والبلاد الإسلامية المجاورة بزعم أنهم بدأوا الهجوم مما اضطر إسرائيل إلى اتخاذ إجراءات انتقامية، واللجوء إلى توسيع رقعتها.

ولكن كل حرب عدوانية بعد ذلك لم يكن لإسرائيل عذر من أي نوع للقيام بها. كانت حرب ١٩٦٧م حربا توسيعية صرفة، وكانت حربا فظيعة.. قضوا في غضون أيام قلائل على القوة المصرية والسورية والأردنية، ووسعوا رقعة أرضهم حتى ضاعفوا المساحة التي منحتهم إياها الأمم المتحدة.

وسأعرض أمامكم بإيجاز موضوع التوسع اليهودي في الأرض، لتدركوا منه كم توسعوا، ولا يزالون يتوسعون، ولن يتوقفوا غدا عن توسعهم في الأرض.

ربما كان ذلك حول عام ١٩٣٧م عندما بدأ البريطانيون، وعيونهم على وعد بلفور، يضعون الأرقام عن المساحة التي يمنحوها لليهود، وقرروا أن يعطوهم خمسة آلاف كيلومتر مربع. وفي نهاية عام ١٩٤٨م أعطوهم ٢٠ ألف كيلومتر بدلا من خمسة آلاف. وزادت هذه المساحة خلال سنتين قادمتين كما أشرت من قبل. ومع نهاية عام ١٩٦٧م كانت إسرائيل تسيطر على ٨٨ ألف كيلومتر من الأرض. من ذلك ترون كيف ابتدأت المسألة بخمسة آلاف ثم أين انتهت.

ثم كانت «حرب أكتوبر» عام ١٩٧٣ وتسمّى أيضا «حرب كيبور»، وادعوا أيضا أنها حرب عدوانية من جانب البلاد العربية المسلمة، في حين أن ذلك قول غير صحيح. والحقيقة أن حرب عام ١٩٦٧م، التي وقعت بعد حرب ١٩٥٦م بأحد عشر عاما، كانت حربا عدوانية من الجانب اليهودي، واحتلت فيها إسرائيل كل تلك المساحة من الأرض حتى بلغت كما ذكرت ٨٨ ألف كيلومتر. وأصدرت الأمم المتحدة القرار رقم ٢٤٢ تلوم إسرائيل، وتأمرها بالانسحاب من الأراضي التي احتلتها بعد هذه الحرب. وتلاعبوا أيضا في القرار كعادتهم وعلى الطريقة البريطانية والغربية.. وذلك عندما يحين وقت تنفيذ قرار ما تبدأ المحاورات والمجادلات يقولون: إن من حق جميع المنطقة أن يحفظوا أمنهم، وأن تكون حدودهم الدولية بحيث لا تتعرض للخطر. وغرضهم من هذا أنه عند تنفيذ القرار يقولون: سلامة وجود إسرائيل يتطلب تعديل الحدود في المنطقة. ولكنهم مع ذلك لم يعملوا أي شيء من القرار.

والآن نتساءل: إذا كان تحرير الكويت تنفيذا لقرار الأمم المتحدة، يبيح لأمريكا وحلفائها مهاجمة العراق، علمًا بأن الكويت ليست جزءً من أراضيهم، ألا يحق لأولئك الذين سلبت أراضيهم وبعد أن صبروا عاما بعد عام، فلم يساعدهم أحد على تنفيذ القرار الصادر من الأمم المتحدة.. ألا يحق لهم محاولة استرداد ترابهم الوطني ولو بعمل عسكري؟ فالقول بأنه خطوة عدوانية هو نفسه عدوان وظلم. إن ما فعلته مصر ليس إلا محاولة من جانب أمة ضعيفة معتدى عليها.. إذا لم يكن هناك أحد ليساعدنا على تنفيذ قرار الأمم المتحدة فمن حقنا أن نحاول بأنفسنا.

هذا هو تاريخ الحروب في المنطقة، وهذه هي مواقف الأمم منها وضعتُه أمام أنظاركم.

والأشياء التي تجلت لنا بوضوح في هذه الحرب الجارية، ليس لدينا وقت كاف للخوض في تفاصيلها.. وستكون غضة في ذاكرتكم، وسوف أتحدث عن أهدافها إن شاء الله فيما بعد. وعلى ضوء هذه الخلفية تتلخص هذه الأشياء في أن هذه الدول أعطت إسرائيل الحق في القيام بأي عمل عدواني تشاء، وقتما تشاء، وضد من تشاء، وحق احتلال أي منطقة تضع يدها عليها ثمرة لعدوانها. وإذا أصدرت الإمم المتحدة أو مجلس الأمن قرارا ضد إسرائيل للانسحاب من المناطق المحتلة.. فلإسرائيل الحق في عدم الانسحاب؛ وليس لأي بلد آخر هذا الحق، حتى وإن كانت معتدى عليها.. وحاولت تنفيذ قرار الأمم المتحدة لتحرير أرضها من إسرائيل!

لم أذكر لكم أنه فيما بين عامي ١٩٤٧ و١٩٤٩م ابتدعت إسرائيل النشاط الإرهابي في العصر الحديث؛ وكان مناحيم بيجن هو مخترع الإرهاب. قتلوا في مسلسل إرهابهم نائب الحاكم البريطاني، ونسفوا فندق الملك داود، وراح فيه مئات القتلى والجرحى، ووقع خراب شديد. وهاجموا الفلسطينيين وذبحوا منهم ٣٠٠٠ بين رجل وامرأة وطفل. وقاتلوا الحكومة البريطانية مرارًا. كانت الحكومة وقتئذ في يد حزب العمال، ووافق المستر بيفن (BAVIN)، وزير للخارجية على أن المسلمين تعرضوا للظلم، وأن اليهود يتجاوزون الحدود، وفعل كل ما في وسعه لوقف دخول اليهود تسللا بطرق غير شرعية إلى فلسطين. وعلى سبيل المثال تدخلت السلطات البريطانية بأمر المستر بيفن وأعادوا إلى ألمانيا سفينة تحمل ٤٠٠٠ يهودي أرادوا الهجرة ودخول

فلسطين بطريقة غير شرعية. عندئذ شنت صحافة العالم احتجاجا شديدا، وسبوا المستر بيفن بما يذهل الإنسان. لقد كُلِّفت دولة بأمانة المحافظة على منطقة ما، وجاء في هذا التكليف كشرط من شروط الأمانة يقضي بألا يسمح إلا بدخول عدد محدود من اليهود، فكان رد فعل كتاب اسمه «صناعة إسرائيل» (Making of Israel): تخيلوا الفظاعة والظلم في إعادة ٤٠٠٠ من اليهود إلى أرض التعاسة والقسوة في ألمانيا»! لقد أُعيدوا عام ١٩٤٧.. أي بعد الحرب بثلاث سنوات؛ فإذا كانت ألمانيا أرض القسوة والتعاسة قد تحولت بعد هزيمة النازي إلى حطام، وتسيدها الأمريكان والروس والفرنسيون والبريطانيون.. فأي حق لهؤلاء اليهود ليعيشوا في فلسطين بعد ذلك؟

على كل حال.. يكشف هذا كيف كان الصحفيون في صفهم وكان كل الرأي العام الأوروبي يحميهم. فمن حقوق اليهود المقبولة.. أعني في الخلفية التاريخية، أن يتخذوا خطوات إرهابية، ولن يسمَّى الإرهاب الإسرائيلي. أما بلاد المسلمين فلا يسمح لهم بأي نشاط إرهابي لحماية مصالحهم السياسية، وإن هم فعلوها فسنشهر بهم، ونشهر بالإسلام أيضا معهم، وسنصمه بالإرهاب.

أضع أمامكم بإيجاز على هيئة نقاط.. أمورا أخرى قبلوا بها:

لليهود الحق في رفض قرارات مجلس الأمن، ولهم الحق في النظر إليها باحتقار ونبذها نبذ قصاصة ورق في سلة المهملات، وليس لأي بلد حق في لومهم.

ولإسرائيل باسم حماية أمنها الحق في تغيير الحدود الجغرافية للدول المجاورة لها.

ولها الحق في صنع القنبلة النووية وتخزين كميات منها. ولها الحق في صنع أسلحة الدمار الشامل من كيماوية وبيولوجية، ولا يحق لأحد انتقادها، وليس لدولة مسملة هذا الحق.

هذا هو ملخص النزاع التاريخي الذي وضعته بين أيديكم. وهناك شيء يقيني.. لم تتغير هذه السياسة حتى اليوم، ولن تتغير غدا. هذه حقوق لليهود ستبقى دون مساس؛ وحرمان المسلمين من حقوقهم جزء عضوي من هذه السياسة لن يتبدل.

وعلى ضوء هذه الخلفية تعالوا ننظر ما هو حلم الرئيس بوش حول «النظام العالمي الجديد».. لأننا ما لم نفهم حلمه جيدا لن نستطيع تقديم نصح سليم له. بقدر ما تفكرت في هذه الخلفية التاريخية للعدوان.. فإن حلم الرئيس بوش عن السلام في حقيقة الأمر ليس حلما للسلام، بل هو حلم الموت الزؤام. ويخطئ بعض الناس إذ يحسبون الموت سلاما. وهذا يذكرنا بقصة الحصان المريض؛ يحكى أن ملكا كان له حصان يحبه ويعتز به كثيرا. فمرض الحصان وشارف على الهلاك. فاستبد القلق بالملك وقال: من يأتيني بخبر موته سوف أقتله. ووقع القدر الإلهي المحتوم ومات الحصان. فأمسكت الحاشية برجل أجبروه على الذهاب إلى الملك لإبلاغه بالخبر. كان الرجل ذكيا، فذهب إلى الملك وقال: أهنئك يا مولاي، فإن حصانك في سلام تام. سرّ الملك كثيرا وقال: زدني، كيف حاله؟ قال الرجل: كنا في أول الأمر نسمع حشرجة صدره من بُعد ميل، والآن لا نسمع له صوتا حتى من قريب. وعندما كان قلبه ينبض تهتز الأرض من تحته، أما الآن لو وضعت أذنك على صدره لم تسمع شيئا. إنه يرقد في سلام وهدوء! قال الملك: إذن لماذا لم تقل إن الحصان المسكين قد مات؟ فأسرع الرجل يقول: جلالتك قلت بنفسك، إني لم أقلها!

فما يحلم به الرئيس بوش للشرق الأوسط والبلاد الإسلامية في الواقع تأويله الموت، حتى وإن كان الحلم باسم السلام؛ وليس له تأويل آخر. وبقدر ما فكرت.. أرى حلمه هكذا: على بلاد البترول الغنية كالسعودية والمشيخات أن تعد نفسها لتوزيع قسط من دخلها البترولي كإحسانٍ ومَنٍّ على بعض بلاد العرب المحرومة من الثروة البترولية أو الفقيرة فيها. وكما تستعبد أمريكا بلاد العالم الثالث بالمعونة الأمريكية.. سيحولون بعض بلاد العرب إلى عبيد لبلاد عربية أخرى. ومن خلال هذا الإحسان، ونتيجة له.. تربط المعونات المالية بشروط كتلك التي تربط المعونات الأخرى. فالمعونة الأمريكية مثلاً تحمل معها دائما بعض الشروط السياسية التي تخدم المصالح الأمريكية. وسيكون لهذه المعونة العربية بعض السياسات التي تخدم مصالح إسرائيل، ومصالح العالم الغربي بصفة عامة.

وأول هذه الشروط ألا تذهبوا بخلافاتكم إلى مجلس الأمم المتحدة، وإنما يجب تسوية الأمور مع إسرائيل تحت الرعاية الأمريكية. والشرط الثاني أن تعطوا عهداً مؤكداً بأنكم لن تتجاسروا أبدا في المستقبل على الدخول في حرب بالمنطقة. قدِّموا لنا هذه التأكيدات. وفي الوقت الذي تواصل فيه إسرائيل صنع الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل التي لا يحلم أحدكم بصناعتها. هاتان هما العلامتان الأساسيتان لحلم السلام الذي حلم به الرئيس بوش، وسترون أن هذا ما سوف يحدث غدا تماما.

وهناك أجزاء أخرى للحلم، قد تتحقق أو لا تتحقق. أحدها يتعلق بالضغط على اليهود لاتخاذ بعض الخطوات. آسف، من الخطأ التعميم ونقول: اليهود، لأن منهم قومًا شرفاء يقفون بشدة ضد إسرائيل ويرفضون سياستها، ويعدونها ضارة بالعالم وباليهود أنفسهم. فعندما أقول اليهود فإني بالتأكيد لا أدين اليهود كافة، ولكني أعني يهود إسرائيل. على أي حال.. سيفكرون في محاولة الضغط على إسرائيل، لتنسحب من مرتفعات الجولان ومن الضفة الغربية لنهر الأردن، ويظنون أنهم بذلك

سوف يحصلون على معاهدة سلام. ولكن المؤكد أن إسرائيل لن تنسحب من كل مناطق الجولان بأي ثمن. ومن المؤكد أيضا عندي أنها لن تنسحب من الضفة الغربية للأردن.

ومع ذلك فإن حلفاءهم من بلاد العرب المسلمين سيسعدون بأعمالهم.. وسوف يشاركون في المعاهدة التي أشرت إليها! والسبب في ذلك أن ضرر احتلال الضفة الغربية واقع على الفلسطينيين والأردنيين وحدهم؛ ولن تُغضب أمريكا اليهودَ من أجل خاطر الفلسطينيين والأردنيين.. فهذا شيٌ غير وارد أبدا. والسبب الثاني أن خطة تهجير اليهود من الخارج وتوطينهم في إسرائيل خطة قديمة، ونفذوا جزء كبيرا منها، وأقاموا مستوطنات يهودية دائمة لهم في هذه الأماكن المحتلة. لذلك حتى ولو أرادت أمريكا.. فليس الإسرائيليون مستعدين للانسحاب من هذه المناطق. ويكشف ما يبدو من علاقات أمريكا وإسرائيل أن الرئيس بوش إلى الآن .. لا يملك الشجاعة على إغضاب إسرائيل. عندما أُطلقت صواريخ سكود على إسرائيل اتصل الرئيس بوش هاتفيا برئيس إسرائيل وبعث رسله الرسميين إليه، وتوسل إليه كيلا تحاول إسرائيل الانتقام الفوري من العراق. وتكشف هذه الواقعة أمام العالم بجلاء عن طبيعة العلاقة بينهما. بهذه الصواريخ ماتت سيدتان وجرح شخصان أو ثلاثة؛ فقالوا هذا عدوان من جانب واحد، مع أن إسرائيل من قبلها أرسلت طائراتها بدون إنذار وقذفت بالقنابل المفاعل النووية العراقية ودمرتها عن آخرها، ولم يقل أحد منهم إنه عمل عدواني. وهكذا.. فلإسرائيل هذا الحق. وهم قبلوا به؛ فلها أن تعتدي وتجوس بطائراتها البلاد الأخرى وترميها بالقنابل، وليس للأمم المتحدة ولا لأي بلد حق الاعتراض. كما أنه ليس من حق المعتدى عليه بالقنابل محاولة أي عمل انتقامي. وهم إذ قبلوا بالمبدأ القائل بأن حق الانتقام الفوري ليس لازما.. كان من الممكن على الأقل اعتبار صواريخ سكود عملا انتقاميا آجلا من جانب العراق، ووجب عليهم إعلانه بهذا الوصف. ولو تفكرتم قليلا في هذا الموضوع اتضحت أمامكم علاقة أمريكا وإسرائيل. يتصل الرئيس بوش عدة مرات هاتفيا، ويتوسل بلهجة رقيقة.. لا تقوموا بعمل انتقامي فوري، ثم يرسل ممثليه لمناقشة الموضوع تفصيليا، وينتهون إلى أنه لو امتنعت إسرائيل عن العمل الانتقامي الفوري.. فسوف نسعى للانتقام لها بأشد انتقام، وسنضاعف ضرب المدنيين أكثر مما ضربوكم آلاف المرات، وندمرهم تدميرا. ولقد كان بالفعل انتقاما لإسرائيل.. وأخذت القوات المتحالفة بالمهمة على عاتقها ونفذتها تماما.

ومن جانب آخر.. بالإضافة إلى ثأرنا لكم، نعطيكم تسعة بلايين من الدولارات معونة مالية. تخيلوا هذا القدر من المال.. إنه جبل من الثروة. لِمَ يدفعونه؟هل ذلك في نظير ألا يثأروا لأنفسهم بأنفسهم؟ لا، فقد أعلنت إسرائيل أن تأجيل الانتقام أمر مؤقت، وبعد ذلك فلهم الحق وقتما يشاءون، وحيثما يشاءون، لفعل ما يشاءون للثأر من هذا العدوان! لذلك قلت: قد قبلوا أن لإسرائيل الحق في العدوان، ولا يجوز لأي بلد أن يتخذ تدابير الوقاية ضد عدوانها؟ ولو أن بلدا فعل ذلك بإسرائيل فسوف تقوم تلك القوى بالعدوان عليه، ويبقى بعد ذلك لإسرائيل حق العقاب؟ ولسوف نرى متى وكيف يكون ذلك. هذا هو النظام العالمي الجديد الذي حلم به المستر بوش، والذي يقول عنه إنه يضمن سلام العالم إلى الأبد. ولا تزال لهذا الحلم بقاياه.

فكما قلت: لن تنسحب إسرائيل من الضفة الغربية بأي ثمن، بل أخشى أن يكون الأساس قد وضع لتحتل إسرائيل الضفة الشرقية أيضا. لقد أجبر الملك حسين على البقاء محايدا، وكل جريرته أنه منذ أيام قليلة عبر في مؤتمر صحفي عن أسفه الشديد لأن القوات المتحالفة تقضي على المدنيين الأبرياء في العراق، وأنها ارتكبت فظائع مؤسفة. وبنى الملك حسين تعليقه على ما تعلنه القوات المتحالفة بلسانها، وما يصدر عنها من بيانات عن عملياتها الحربية تبرز هذه الصورة. إذا كانت هناك طلعة جوية كل دقيقة للقذف والتدمير، ويعترفون أن القذف على العراق لم يحدث مثله في أي حرب أخرى.. على مدى التاريخ كله.. في أي مكان بالعالم، وأنه لا مجال للمقارنة بينه وبين ما حدث في فيتنام.. بعد كل ذلك إذا استنتجتَ أن مائة ألف من المدنيين قد تأثروا بها، يكون هذا في نظر الرئيس بوش إهانة لأمريكا ووقاحة في حق لإسرائيل؟ فيُنذر الملك حسين بأن احذرْ واحفظْ كلماتك عندما تتكلم!؟ ألا تدرك ما تقول؟ من أعطاك حق النقد هذا!؟

هذه أيضا بعض الجوانب المرعبة من الحلم.. فقد رأى حلم السلام بمعنى الهلاك. وهناك أيضا ناحية تحذيرية في حلمه أرى أنها تتضمن تدبير عذر لمهاجمة الضفة الشرقية حتى يمتد الاحتلال الإسرائيلي على الضفتين. ويؤيد حدسي هذا محاولاتٌ تاريخية عديدة منذ البداية وحتى اليوم أشرت إليها آنفا. فاليهود يتوسعون في الأرض دائما، وسياسة التوسع ليست في زيادة عددهم فقط، بل ولزيادة مساحة منطقتهم أيضا. وحلم إسرائيل الذي ارتآه اليهود منذ البدء هو أن يجمعوا اليهود من كل المناطق المضطهدة ويوطنوهم في دولة حرة لهم. ودون دخول في التفاصيل، أقدم لكم عدد السكان اليهود في بعض البلاد: في إسرائيل مليونان ونصف، أمريكا ٥ ملايين، روسيا مليونان ونصف. وهناك برنامج في الوقت الحالي لتوطينهم في إسرائيل، والبرنامج مستمر، وعند اكتماله ينتقل مليونان ونصف يهودي إلى إسرائيل. وهذا يعني مضاعفة عدد سكان إسرائيل. وهذا يحتاج إلى مزيد من الأرض. هذا شيٌ بيِّن واضح طبيعي. وكل أرض يحتلونها اليوم

هم بحاجة إلى أكثر منها لتني بحلمهم. وفي نفس الوقت.. هجرة اليهود من أوروبا وأمريكا مستمرة.

وحول هذا الموضوع سوف أعرض عليكم بعض الأمور في خطبتي القادمة إن شاء الله تعالى، ولكني أود الآن أن أخبركم في إيجاز أنه في مقدمة الأسباب التي أُخبرنا بها عن إقامة دولة إسرائيل هو انهم غير آمنين في البلاد الأوربية، وتعرضوا فيها للفظائع . ولو كان هذا حقا هو الغرض من إنشاء إسرائيل فإن الحلم الإسرائيلي لن يتحقق ما لم يفسح مكان في فلسطين لليهود المقيمين في البلاد الغربية. والاتجاه الحالي يشير إلى نفس الأمر، أي كيف يتقدمون.

ففي حلم الرئيس بوش وجه تحذير بضرورة احتلال الضفة الشرقية من الأردن. أما كيف يتقدم هذا الحلم فيما بعد، وإلى أي مدى سوف يبتلع العالم.. فهذ يحتاج إلى تفصيل طويل. وبإيجاز أشعر أنها مسألة أدوار.

وما دامت القوى المسلمة لم تدمر واحدة بعد الأخرى.. لن يتحقق حلم الرئيس بوش. فمَن عليه الدور؟ لا أستطيع القول هل هي باكستان أم سوريا؟ باكستان تحلم بأن تكون قوة نووية، ومسألة وصولها إلى ذلك أم لا موضوع جدلي، ولكن هناك طرقا عديدة لتدمير باكستان. فهناك مشكلة كشمير، ومشكلة السيخ بوسعهم تحريض الهند والسماح لها بالهجوم على باكستان. وبوقف المساعدات الدفاعية والاقتصادية يجعلون القوة الباكستانية عديمة الجدوى والسلاح، فلا يبقى لها قوة للدفاع عن نفسها ضد هذا الهجوم. يمكن أن يكون هناك كل أنواع المؤمرات، والخطر ماثل بلا شك.

وسوريا بالتأكيد تواجه الخطر لأنها قوة كبيرة أيضا. ومن الخطأ الفادح، ومن الحماقة أن تحسب سوريا نفسها بمأمن من الخطر لأنها انضمت إلى القوى المتحالفة. ما دامت إسرائيل هناك فسوريا في خطر.

وإيران أيضا تواجه الخطر، وتركيا أيضا. وأشعر أنهم سوف يحققون حلمهم بإثارة النزاع بين البلدين.. والنزاع قائم اليوم، فيشعلون بين إيران وتركيا حربا بالطريقة التي اتبعها الأمريكان وحلفاؤهم عندما هيجوا العراق لمهاجمة إيران، وساعدته في هذا السبيل بلاد عربية متحالفة مع أمريكا، وزودت بلاد الغرب العراق بأسلحة الدمار الشامل، وساعدته مساعدة كاملة.

هذه هي خلفية الحلم.. نستطيع أن نرى في أي اتجاه يتقدم الحلم وينتشر. وعلى ضوئها سوف يتحقق الحلم في النهاية كما فعلوا في الماضي.. يستخدمون قوة إسلامية، يعطونها القوة لهدم قوة إسلامية أخرى، ثم يعدون خططهم لتحطيم القوة الأخيرة مستعينين بقوى إسلامية أخرى. فما هي الخطوة التالية؟ إنهم سوف يقضون على ما تبقى من البلاد الإسلامية التي تتمتع بقدر من القوة واحدة بعد الأخرى. هذا هو حلم الموت الذي رآه الرئيس بوش، وسماه حلم السلام!

لقد ذكرتني أيديهم الملوثة بدماء المسلمين العراقيين والفلسطينيين المستضعفين وغيرهم من العرب .. بأسطر من رواية ماكبث (MCC. BETTH). لما سلّطتْ لادى ماكبث زوجَها لقتل ملك إسكتلندا، فقتله وهو نائم، أصابها رد فعل سيكولوجي جعلها تحسب نفسها القاتلة الفعلية. ونتيجة لهذا المرض النفسي كانت تغسل يدها باستمرار وتقول: لا تزال رائحة الدم في يدي. غسلتها كثيرا، ولكن رائحة الدم ما زالت أشمها في يدي.. ولن تستطيع كل العطور العربية تعطير هذه اليد الصغيرة. أي أن رائحة الدم ستبقى في يدها، لا تزيلها العطور العربية القوية.

وموضوع الرئيس بوش يختلف شيئا ما عن ذلك، فإن يده التي تلوثت بلون دماء العرب المسلمين لن تكف عن مطاردة أمريكا وحلفائها، ولن تقدر عطور العالم كله على تعطير ريحها اللاذع وتحويل مرارتها إلى الحلاوة.

وبمناسبة حلم السلام الأمريكي أقدم لكم مناجاة ماكبث لنفسه بعد أن جفاه النوم. كانت جريمة قتل الملك شديدة الوطأة على ضميره القلق، ولم يغفر لنفسه ما فعله، وفارقه النوم ليلا، وقال يصف حاله: «أحسبني سمعت صوتا يصيح: «لن تنام أبدا.. لن تنام أبدا. انظر لقد اغتال ماكبث النومَ».

فلأنه قتل الملك النائم.. لا يمكن، تحت الضغط النفسي، التعبير عن مقتله بأحسن من هذه العبارة: لقد قتلتَ النومَ عندما قتلتَ النائمَ.

فإذا بدلنا كلمة واحدة هنا أمكن أن تكون العبارة مناسبة لحال الرئيس بوش، فأقول:

«أحسبني سمعت صوتا يصيح: لا سلام إلى الأبد. انظرْ لقد قتلتْ أمريكا السلامَ.

وأشعر، إنْ تحقق الحلم الأمريكي، بصوت صراخ مسموع يقول: إن سلام هذه المنطقة، بل العالم كله.. لن يستقر أبدا.. فقد قتلته أمريكا.

ماذا نستطيع عمله؟ هذا ما سوف أخبركم به في خطبة الجمعة القادمة، إن شاء الله تعالى. وأود الانتهاء من هذا الموضوع.. لأعود سريعا إلى موضوعي الحقيقي الأبدي.. ألا وهو موضوع العبادة ووسائل الاستمتاع بها.

خطبة ١٥، ٢، ١٩٩١

فيما يتعلق بحرب الخليج، شرحت لكم أمورًا مع خلفيتها، لنفهم لماذا يدخلون الحرب، وأنه ما لم نتفهمها تماما فلن يكون بوسعنا حقا صنع خريطة جديدة للعالم. والموقف الراهن هو أن الجهد المبذول لإقرار السلام قد تسارع فجأة، ويرتبط بذلك مصلحتان لأمريكا. فقبل الشروع في الهجوم الجوي تركوا في العالم انطباعا بأننا قدمنا مرارا لصدام حسين اقتراحات معقولة، ونريد أن نقر السلام، ولا نريد الحرب، ولكن انظروا كيف يرفضها رفضا متواصلا. والحرب توشك أن تدخل في مرحلة أخرى، فيها خطورة شديدة من بعض النواحي على القوات المتحالفة.. فهم وإن كان لهم التفوق المادي والقدرة على إصابة العراق بأشد الضرر.. لكنهم سيتعرضون لخسارة كبيرة في الأرواح. فشرعوا في هذه المرحلة حملتهم الدعائية مرة ثانية التي يهدفون بها إلى كسب ميزتين: إذا كان تقدير الخسائر العراقية يصيب صدام حسين بالفزع، ويثير الرأي العام في العراق ضده لأنهم قاسوا ما يكفي من الدمار، ويحبّون إنهاء الأمر وقبول مطالبهم.. بالانسحاب من الكويت؛ فبذلك يكون هدفهم من تدمير قوة العراق قد تحقق، وفي نفس الوقت تتحرر الكويت، وتنقذ أرواح الأمريكان التي يخشون فقدانها. وعند هذه المرحلة أرسلوا إلى بغداد مبعوثيهم من الدول التي سوف تعرض الأمر بحيث يبدو كأن الأمر هكذا: كل ما عليك هو الانسحاب من الكويت وعندئذ ينتهي النزاع. يجب ألا تصر.. فقد نلت ما يكفي من الدمار.

ولكن الموقف الحقيقي ليس هكذا. لقد ذكرت لكم في إحدى خطبي السابقة أن هذا كله كذب وخداع، فلم يرفض صدام حسين أبدا الانسحاب من الكويت. كان موقفه دائما أن هجومي على الكويت عمل عدواني، ولكن ثمة أعمال عدوانية أخرى وقعت من إسرائيل على البلاد الإسلامية، ولا يزال احتلالهم قائما بالرغم من أن الأمم المتحدة ومجلس الأمن قد أصدرا قرارات متكررة تدين الاحتلال الإسرائيلي وتصمه بعدم الشرعية. فإذا كنتم حقا ترغبون في السلام فلتكن هناك مناقشة لكل هذه الأمور. ليست مسألة الكويت فحسب، بل ينبغي النظر في أمر تحرير الكويت، وأيضا تحرير الأراضي المحتلة.. كي ينتهي هذا الموضوع الذي لم يزل مصدر فظائع منذ زمن طويل.

وما برحت أمريكا ترفض ذلك بقوة حتى إنها كانت تعطي تعليمات صارمة حول هذا الرفض.. لكل مبعوث ذاهب إلى العراق ليضغط عليه، حتى السكرتير العالم للأمم المتحدة بيريز ديكويلار حمل هذه التعليمات بألا يبدأ أي بحث حول هذا الموضوع، ولا يربط أبدا بين مشكلة فلسطين والكويت في المباحثات بأي طريقة.. لأنهم إذا بدأوا بحث الموضوعين سويا لانكشف الخداع الأمريكي مما يخلق مشكلة سيكولوجية لأولئك العرب الذين يساندون أمريكا. أمريكا ترفض أن تضغط على إسرائيل للانسحاب بينما تصر على العراق بالانسحاب.. إنه خداع وظلم مفضوح بحيث يتعذر على أية حكومة مسلمة أن تستمر في مساندتهم. وهناك سبب آخر لاستمرار حكومات البلاد الإسلامية في تأييدهم.

وفيما يتعلق باللوم.. فإننا لا نستطيع إلقاء المسئولية على طرف واحد. الموضوع طويل جدا، وسآخذ مزيدا من الوقت لشرحه، بيد أني أشعر بأن الله وحده يعلم كيف ومتى تنتهي هذه الحرب، ولكنها عندما تنتهي لن تنتهي المشاكل، بل سوف تزداد. وأول ما خرج للضوء نتيجة لهذه الحرب بوضوح هو موضوع هذه الآية القرآنية: [وأخرجت الأرض أثقالها]، أي رمت الأرض بمصاعبها ومشاكلها المتعلقة بالشرق الأوسط.. بل وكل مشاكل العالم المشابهة خرجت جلية أمام عيون العالم. كيف ستكون خريطة العالم الجديد؟ وماذا ستكون العلاقات بين الدول الكبرى والصغرى في هذه الخريطة الجديدة؟ وما الدور الذي سوف تلعبه الأمم المتحدة، إذا كان باستطاعتها أن تؤدي دورا محددا. كل هذه الأمور وأمثالها تواجه العالم اليوم. من يملك السيطرة على ثروات النفط، وكيف يكون التصرف فيها؟ وسواء تكون هناك حرب أم لا، وسواء تنتهي الحرب أم تستمر.. فسأمضي في موضوعي حول مشاكل العالم المستمرة.

وفيما يتعلق بمسئولية الحرب أشعر أن الرئيس صدام حسين يتحمل بالتأكيد مسئولية مهاجمته للكويت، وكان متسرعا في هجومه. ونتيجة لذلك أساء إلى سمعته الشخصية وسمعة العراق أيضا. وكان أعظم الأضرار وقوعه في فخ العدو. هناك الجدل حول هذه المسألة عمن هو المسئول.. ويعترف أهل الفكر والمثقفون حتى من أمريكا من الفئة العليا صراحة أن النصيب الأكبر من المسئولية واقع على أمريكا. وجريمة صدام أنه وقع في الفخ الذي نصبته له أمريكا.. هي أعظم جرائره، فهو مسئول أيضا من هذه الوجه.

أما عن سلوك أمريكا فأقرأ لكم تصريح جيمز أكينز (James Akins)، السفير السابق للولايات المتحدة لدى العراق. كتب يقول: أوقعت الولايات المتحدة صدام حسين في غزو الكويت بتعليماتها إلى السفيرة الحالية أبريل جلاسبي (April Glaspie)، كي تشجعه وتؤكد له أن المسألة هي من الشؤون الداخلية للعراق ولن نتدخل فيها (Canadian Ecumenical News. Jan& Feb 1991, p3).

وقال الجنرال ميكل دوجان رئيس الأركان لسلاح الطيران الأمريكي الذي بسبب بيانه هذا أمام الصحفيين أقيل من

منصبه، بأن أمريكا تهدف قطع رقاب صدام وأسرته وأعوانه لتنتهي المشكلة من الأساس. وإن قواتنا الجوية مستعدة لتنفيذ هذه الخطة التي اقترحتها إسرائيل. (Aviation Week& Space Technology, Sep 24- 1990, USA& Times, Oct I 1991, USA).

هذا التصريح من رجل يشغل منصبا رفيعا كرئيس الأركان له ثقله.. فهو ليس تصريحا لمعلق عادي. فالواقع أنه كانت هناك مؤامرة لترتيب هجوم لاغتيال على الرئيس صدام وأسرته، وعلى كبار الضباط، وبهذه الطريقة أرادوا تسوية المشكلة!

وأبدت أمريكا إزاء هذا رد فعل عنيف، ولكن لا عذر لها في إنكار التصريح.. فمن الحقائق الثابتة أنهم رتبوا سابقا هجومًا مماثلاً على الرئيس القذافي، وتعلم الدنيا كلها ذلك. القانون الأمريكي لا يسمح للرئيس بترتيب اغتيال أحد في دولة أجنبية، ولكنهم لا يزالون يقومون بعمليات اغتيال تحت اسم «العمليات الخفية». وعندما تنفضح هذه العمليات الخفية تصبح جريمة كبرى. فأمريكا تتحمل مسئوليتها الكبرى بكل يقين.

ثم هي عملية باسم الأمم المتحدة، في حين أنهم في الواقع قد اشتروا كثيرا من البلاد، وضغطوا على بلاد كثيرة أخرى، ودفعوا كثيرا من الرشاوي الآجلة.. وكل هذا لعبة أمريكية. وبهذا الصدد لم يزل الرئيس صدام يقول: إن استخدام اسم الأمم المتحدة لتبرير هذه العملية سخرية واستهزاء بالأمم المتحدة نفسها. فمن الناحية العملية أمريكا هي التي تفعل ذلك وليست الأمم المتحدة. وعندما زار سكرتير الأمم المتحدة أخيرا صدام حسين للتباحث معه، أخبره أن العملية كلها خداع للعالم، إنها عملية أمريكية، ومن الخطأ القول بأنها من الأمم المتحدة. فأقر ديكويلار أنه شخصيا يوافق على قوله مائة بالمائة وأن هذا ما حدث تماما، ولكنه من الناحية الرسمية ليس في موقف يسمح له بإعلان ذلك. وحاولت أمريكا إخفاء هذه الملاحظات عندما عاد السكرتير العام وقدم تقريره عن مهمته متضمنا بعض أمور مشابهة، ولكن الرئيس صدام حسين أذاعها، ونشرتها الصحف البريطانية التي اطلعت عليها. (Guardian 12-2-1991).

فالمسئولية الأولى تقع على كاهل أمريكا.. بالرغم من أن الرئيس صدام قد استغِلّ. وفيما يتعلق بمسئولية الرئيس صدام فثمة أمور تجعل بوسعنا القول أنه عديم الحيلة. ولكن مسئولية الحلفاء واضحة، وهم فعلوا كل تلك المظالم لأغراضهم الذاتية. كل طرف من الحلفاء له أغراض ومصالح خاصة ترتبط بها.

وإسرائيل مسئولة لأن الخطة كلها من وضعها كما سبق الإشارة إليها. فليس هناك مكيدة لإسرائيل أعظم من القضاء على قوة إسلامية ناهضة يمكن أن تمثل تهديدا حقيقيا لها في الحرب.. بحيث تتحمل النفقات البلاد الإسلامية أو بعض الحلفاء الآخرين، وتكون الجنود لهذه المكيدة من الأمريكان والبريطان والعرب، ويكون الغنائم لإسرائيل، كما تجد فرصة لاحتلال مزيد من الأرض، وتكسب تسعة بلايين من الدولارات، ويبقى لها بعد تدمير العراق تماما، لا سمح الله، الحق من الثأر من البلد الذي يعاني سكرات الموت. فالميزة العظمى من هذه الجريمة كانت لإسرائيل، وعليها معظم هذه المسئولية.

والأمم المتحدة أيضا مسئولة. عندما بدأوا الشراء والبيع في أعضاء مجلس الشعب الباكستاني قيل: إنهم يتاجرون في الخيل. كانت فعلا تجارة خيل، ولكن من أين تعلموا هذا التعبير.. للدلالة على شراء أعضاء المجلس لأغراض سياسية؟ كيف بدأ وكيف فكروا فيه؟ لقد علمنا الآن أن المفهوم جاءهم من أمريكا.. لأنهم هناك عند شراء الأصوات فتحوا تجارة للخيل داخل الأمم المتحدة. وإذا كانت الأمم المتحدة قد صارت فعلاً سوقا تستطيع الأمم الغنية الشراء فيه بثروتها، فهي ليست ترتكب فقط أبشع جريمة وإنما انتحارًا أيضا، وقد ضاعت الأمانة والثقة في هذه المنظمة إلى الأبد.

وإلى جانب ذلك هناك خلفية تاريخية ينبغي أن تضعوها تحت نظركم. ولا داعي هنا للدخول مرة ثانية في تفاصيل مسلك حكومة بريطانيا ومؤامرة اليهود التي طبخت لإنشاء إسرائيل. بالاختصار صاغ الدكتور تيودور هرتزل (Dr. Theodor Herz) الخطة عام ١٨٩٧، وعين تحت مظلتها كثيرا من علماء اليهود ومفكريهم للتغلغل داخل القوى الغربية. ومن بين هؤلاء الكيمائي وايزمان (Weizmann)، الذي كان خبيرا كبيرا في الكيمياء ومن مواطني بولندا، وتعلم في ألمانيا، وجاء إلى بريطانيا، وأنشأ علاقات مع ذوي النفوذ. وكان أشد تأثيرا في اللورد بلفور (Lord Balfour)، الذي كان وزير الخارجية في وزارة لويد جورج من عام ١٩١٥ حتى ١٩١٨. وإن أكبر جهد لإنشاء إسرائيل قام به بلفور. ولذلك تتحمل بريطانيا رسميا مسئولية النزاع الحالي، لأن الموضوع برمته غير شرعي، ولا حق له في الوجود. فتوجههم إلى بلد، ثم فرضهم عليه قوما ضد رغبتهم، وضد شروط الانتداب، وضد اتفاقياتهم أنفسهم، لهو ظلم مستمر ما بعده ظلم.. لا مبرر له على الإطلاق. لقد لعبت بريطانيا أكبر الأدوار في ذلك، ولذا هي شريكة دائمة في المسئولية.

ولكن دعوني أخبركم بأن الأمة البريطانية في مجموعها لم تكن متورطة في هذا التصرف عند بدايته. وتدل دراسة الصراع الذي دار بين عامي ١٩١٧ و١٩٢٠ في بريطانيا على أن المسلمين أبدوا كثيرا من الجهل أيضا. ففي الوقت الذي كان اليهود ينشرون فيه فخاخ مؤامرتهم في جميع الاتجاهات ويؤثرون على أصحاب النفوذ.. بقي المسلمون مهملين ذلك. قام اللورد كرزن (Lord

(Curzon)، الذي خلف بلفور في وزارة الخارجية، والذي ناصر المسلمين كثيرا.. بكشف أشد الأمور غرابة بحيث لا يكاد المرء فهمها. فبينما كان اليهود مشتغلين بنشر مؤامرتهم باذلين أقصى جهودهم، كان العرب يَبدُون كالمتفرج يختلس النظر من فرجة ضيقة، وليس مسموحا لهم بالدخول، أو أنهم أنفسهم لم يكونوا يدرون بما هنالك.

على كل حال.. فالقول بأن الأمة بكليتها كانت مشاركة في هذه المؤامرة ليس صحيحا. لقد فتح اللورد كرزن الباب بشدة، وفهم الهدف والغرض من إنشاء دولة إسرائيل، وكتب:

«إنهم ضغطوا عليَّ مرارا كي أقبل بالصلة التاريخية بين إسرائيل وأرض فلسطين، ولكني أعرف أنها مؤامرة عميقة، وشديدة الخطورة وذات آثار بعيدة المدى. وإذا ما قبلنا بها فلن يكون لدينا عذر لكبح جماح اليهود والسيطرة عليهم. سوف يكررون كل تاريخهم القديم، ويقولون لقد فعلنا كذا وكذا في موقع كذا وكذا.. فاليوم لنا الحق في كذا وكذا!!» (The Origins& Evolution of The Palestin Problem 1917-1989, P21 to 28, Published By UNO)

كان الرجل على طول الخط صلبا، وفعل كل جهد بوسعه ضدها؛ ولكن نتيجة لخططهم السرية ظلت وزارة لويد جورج تحت دائرة النفوذ اليهودي. وفي النهاية تركوا الأمر يمر في البرلمان، وأقروا إقامة دولة لليهود في فلسطين على أساس من الصلة التاريخية. واعترض اللورد كرزن أولا على العبارة الأولى للقرار بشدة، ولكنهم غيروها بدهاء إلى صلة تاريخة. ولكن صيغة القرار التي لا أستطيع قراءتها الآن، عندما تتطلعون عليها ستندهشون، لأنهم استخدموا أسلوبا أشد ما يكون مكرا بحيث يُحقق كل أغراض اليهود.

وعندما عرضوا القرار أمام مجلس اللوردات قاموا باستخدام العدل الكامل، بل حذروا أمتهم من اتخاذ مثل هذه الخطوة لأنها ظلم فادح شديد الخطورة سيؤدي إلى أضرار بعيدة المدى، ولا نستطيع التكهن متى تتوقف هذه النتائج الضارة له.. وهكذا رفض مجلس اللوردات المشروع بعد ذلك عرض المشروع على مجلس العموم مرة أخرى فوافقوا عليه.

كان اللورد سيدنهام (Lord Sydenham)، عضو مجلس اللوردات يرد على بلفور قائلا: «ربما لا يمكن علاج الضرر الذى وقع نتيجة إلقاء سكان غرباء على قطر عربي، والعرب يحيطونه بما وراء الساحل. ولم يكن ما فعلناه حقًا ممنوحًا للشعب اليهودي، وإنما هي تنازلات لقطاع من الصهاينة المتطرفين، كي يشرعوا في تكوين قرحة مؤلمة، لا يدري أحد إلى أي مدى تمتد هذه القرحة» (المرجع السابق ص ٢٩).

وإذًا كان هناك عدل في الأمة البريطانية، ولا يزال هناك اليوم. فمثلا تعبر فئة من كبار المفكرين بشجاعة عن آرائها الأمينة، ولكن، كما قلت، فإن المؤامرات عميقة وتمتد بعيدا بحيث أنهم واقعون في قبضة اليهود.

واليوم يقع اللوم على أمريكا، ومع ذلك كان هناك إنصاف في أمريكا. فمثلا إن المبادئ التي وضعها الرئيس ودرو ولسن (W. Wilson)، عام ١٩١٨والتى تتضمن تمسك أمريكا بتلك المبادئ واحترامها ولا تدعها تتبدل.. وهي بأن للأغلبية في أية منطقة الحق الأول في المشاركة لاتخاذ القرار الذي يتعلق بمصيرها، وهو المعروف بحق تقرير المصير. فإذا لم يقبلوا شيئا فلا يحق لأحد في الدنيا فرض قرار عليهم. هكذا كان موقف أمريكا آنذاك. كانوا أرسلوا لجنة معروفة باسم لجنة (King Crane)، إلى فلسطين عام ١٩١٩.. قدمت تقريرا عادلا ومفصلا. جاء في هذا التقرير: نؤكد لكم أنه لا يمكنكم إقامة دولة إسرائيل هنا بدون استخدام قوة كبيرة، وبدون سفك دماء غزيرة. فما الداعي إلى فعل ذلك؟ لأن هؤلاء الناس عاشوا هناك منذ ٢٠٠٠ سنة؟ إذا قبل هذا المنطق لانمحى العقل والعدل من وجه الأرض! إنه منطق سخيف ولا ينبغي أخذه في الاعتبار.

ما أشد الفارق بين ذلك الوقت ويومنا هذا! القوة الأمريكية كلها تلعب في كف اليهود كالدمية؛ ولم يعد هناك عدل، ولا إدراك، ولا قيم أخلاقية، ولا شيء.

وعيب المسلمين أنهم كان من الواجب عليهم تقدير الموقف بذكاء. عندما كان اليهود يعملون على زيادة تأثيرهم في تلك المواقف.. كان ينبغي على المسلمين استخدام نفوذهم وتغلغلهم. ولكن يبدو أنهم بعد إنكار سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، لم تعد بهم قيادة تتفكر في مشاكل الأمة الإسلامية كلها، وتمضي بهم قدما كجسد واحد، مرتبط بعقل واحد وقلب واحد.

وفي بريطانيا لا يزالون هم على نفس القدر من الصراحة.. ففيما يتعلق بالأسباب، وما هي أهدافهم، ولماذا يقاتلون في هذه الحرب كتبت مجلة «سوشياليست ستاندارد» (Socialist Standard)، حول كل ذلك في عدد نوفمبر ١٩٩٠:

«قبلت جريدة سنداى تايمز (Sunday Times)، بأن أغراضهم أنانية، فقالت: «أما عن السبب فليس تحرير الكويت.. وإن كان ذلك مرغوبا، كما ليس الغرض حماية السعودية وإن كان هذا هامًا أيضا، وإنماالهدف القضاء على صدام الذي صار خطرًا على المصالح الغربية الحيوية في الخليج، وخاصة التدفق الحر للنفط بأسعار السوق، وهو أمر جوهري لرخاء الغرب».

ولكن هذا ليس في الواقع اعترافا كاملا، لأن الهدف الأكبر

هوحماية إسرائيل إلى الأبد من أي خطر من العراق، وإزالة هذا التهديد عن إسرائيل بحيث لا تستطيع أي بلد مسلم تحديها. وهذا الهدف وثيق الصلة بالبترول؛ لأن من أسباب إنشاء إسرائيل هو إقامة حارس على البلاد الإسلامية قادر على تعنيفهم عند اللزوم، وذلك يعني أنه عندما لا تتفق البلاد الإسلامية مع متطلباتهم ينبغي أن يكون هناك ممثل لهم يلقنهم الدرس المطلوب.

تعالوا بي الآن أخبركم عن تكلفة الحرب. أنفقوا حتى الآن ٨٩ر٥ بليون دولار على الحرب، منها ٣٠ بليونا بمعدل بليون كل يوم، وقد مضى شهر على الحرب. ويقال إن أمريكا قد أنفقت ٩ بلايين وبريطانيا بليونين قبل أن تبدأ الحرب. وليس هناك أرقام مؤكدة للنفقات الحربية البريطانية لكل يوم وهذا مبلغ إضافي. وبجانب ذلك هناك ما أنفقوه لشراء الحكومات الأخرى.. فقد أسقطوا ٢١ بليونا من ديون مصر. ومن ذلك تستطيعون تقدير الثمن الذي قبلوا به بيع مصالح الأمة الإسلامية. ودفعوا حتى الآن ١٣ بليونا لإسرائيل كمكافأة وتقدير لضبط النفس العظيم الذي أبدوه بعد إصابة عدد قليل منهم بصواريخ سكود العراقية وتجنبهم الانتقام الفوري. قال الإسرائيليون: بعد تدمير العراق وتمزيقه إربا.. سيأتي يوم الانتقام بما تقر به قلوبنا. وتقول أمريكا بأن هذا ضبط نفس عجيب سندفع من أجله ١٣ بليونا من الدولارات بالإضافة إلى أشياء أخرى كالأسلحة وغيرها.. وذلك على سبيل الهدية.

وفيما يتعلق بروسيا.. كشفت جريدة «العرب» التي تصدر في بريطانيا أن السعودية دفعت ٣ بلايين، كما دفعت الكويت بليونا للاتحاد السوفييتي. وهناك بعض النفقات المتنوعة لتركيا وسوريا، مع وعود لا ندري عنها بعد الحرب.

بالإضافة إلى هذه النفقات.. هناك الخراب الرهيب الذي وقع. كان تقدير المراقبين قبل بضعة أيام أن الدمار في الممتلكات يتطلب ٥٠ بليون دولار لمجرد بناء الكويت. ويقدر هذا المبلغ ١٠ مرات لبناء العراق، أي ٥٠٠ بليون، فهذا الإنفاق المرتفع للغاية هو غير الإنفاق الذي يتم على الحرب والرشاوي. وفوق كل ذلك ما فقد من أرواح.. وما قاسته البشرية من أهوال، وما عانته بلاد العالم الثالث من أضرار اقتصادية تبلغ ٢٠٠ بليون اليوم، ويقول المعلقون أنها سوف تزيد ولا يمكن أن تنقص.

ثم هناك أضرار البيئة.. من تلوث في الجو وتلوث في البحر. وعندما حدث تلوث في الخليج.. اعترف جنرال أمريكي مزهوًا بأنهم نجحوا في ضرب حقول البترول بالكويت، وأن البترول ينساب منها. ولكنهم في اليوم التالي بدلوا القصة بأكملها وألقوا باللوم على العراق، وقالوا: إنها بلد أثيم.. لم يرحموا حتى الطيور لقسوتهم. كان هناك بعض طيور مغموسة في النفط لم يتوقفوا عن عرضها مرات ومرات.. يريدون بها بيان قسوة صدام حسين وكيف لم ينج من قسوته وشروره حتى الطيور الصغار.

ومقارنة بهذا الضرر الذي يثبتون به للعالم تعاطفهم مع الإنسان وكل أنواع الحياة، فإن مسلكهم الذي أبدوه بالنسبة لمعاناة العالم.. أود ان يكون واضحا لكم لأنه كله خداع. لقد وضح سيدنا محمد المصطفى ﷺ تاريخ كل هذه الحقبة الحاضرة مع تفاصيلها الكاملة في كلمة واحدة: الدجال. إنه خداع مدهش رهيب.

إن أفريقيا تواجه المجاعة منذ سنوات، والملايين من الناس.. رجالا ونساء وأطفالا يتحولون إلى هياكل عظمية تموت في معاناة شديدة، ولا يلتفت أحد إليهم. لقد سمعتم منذ لحظة تقديرات نفقات الحرب: يتطلب إصلاح الخراب ٥٥٠ بليونا من الدولارات، وقد أنفقوا ١٠٠ بليون تقريبا، و٢٠٠ بليون خسائر العالم الثالث؛ فهي وجبة تتكلف ١٠٠٠ بليون من الدولارات.

وعلى الجانب الآخر هناك ٢٥ مليونا من الأفارقة يموتون جوعا حسب تقدير الأمم المتحدة. وإذا احتجتَ دولارين لطعام يومي لرجل واحد في أفريقيا، فإنك لإنقاذ ٢٥ مليونا من الموت جوعا طول العالم تحتاج إلى ١ر٥ بليون دولار فقط. يمكنكم الآن تصور هؤلاء القوم الذين لا ينظرون نظرة رحمة على ٢٥ مليونا من الناس في أفريقيا، ويُمطرون الموت على رؤوس ١٦ مليونًا من الناس في العراق بإنفاق جبال من الثروات. تصوروا أن ما عندهم من تعاطف فهو لبضعة طيور! يخلقون كل هذا الضجيج من أجل موت بضعة طيور!! إن هذا إلا خداع وخبث. كان ينبغي عليهم أن يظهروا الاحترام لحياة البشر أولا. كان ينبغي عليهم أن يهتموا بالفقراء المتضورين جوعا في أفريقيا وغيرهم من الشعوب. كان ينبغي عليهم محاولة القضاء على عدم التوازن الاقتصادي.

بذلك يمكنكم إدراك معنى بليون من الدولارات لخمسة وعشرين مليونا من الناس.. يستطيعون إطعامهم عاما كاملا ببليون ونصف. ينفقون بليون دولار كل يوم ليصبوا الهلاك، ولكنهم لا يستطيعون إنفاق بليون لحفظ حياة ٢٥ مليونا من البشر لمدة تسعة شهور!!

يذكرني هذا بالحادثة التي ذكرها ونستون تشرشل قال: كان مستر لويدجورج ساخطا على السير إدورد جراي، فاعتذرت عنه قائلا لمستر لويد جورج الذي كان حادا: حسنا، نعرف على أي حال أن الألمان لو كانوا هنا.. وقالوا لجراي: إذا لم توقع هذه المعاهدة سوف نرميك بالنار فورا.. فمن المؤكد أن رده سيكون: لا يليق أبدا بوزير بريطاني أن يرضخ للتهديد. لن يتم هذا الشيء.

ولكن لويد جورج أجاب: لن يقول له الألمان هذا لو كانوا أذكياء. إنهم سيقولون: إن لم توقع هذه المعاهدة فسنخنق جميع سناجيبك وعندئذ سوف ينهار! (Great Contemporaries, by Winston S. Churchill, P 240, London)، أي أنهم إذا هددوه بقتل سناجيب يحفظها كحيوانات مدللة يوقع المعاهدة على الفور!

ومعنى ذلك أن إحساسهم بالتوازن قد فسد، وأصابه التلف من زمن طويل. إنهم يهينون البشرَ من أجل الكلاب، ولا يستطيعون تضحية اهتماماتهم الأنانية من أجل إخوانهم من الناس. ومن ثم فهم مسؤولون مثل غيرهم، وإذا لم يحاسَبوا على جرائمهم اليوم فلسوف يقدمون عنها الحساب غدا.

ذكرتُ لكم ما وقع من أضرار ومعاناة، ولكن لا يزال هناك مزيد من الأضرار وبعض المزايا أيضا. وقد ذكر بعض المعلقين المطلعين أن من أسباب دخول أمريكا في الحرب عقدة فيتنام التي استهلكت الرئيس بوش وأمريكا. لقد وقعت حادثة مشابهة في فيتنام، فقد ضربوها بالقنابل بشدة لم تحدث قط من قبل. لقد دمروا قرى بأمكلها، وأهلكوا كثيرا من الحياة، وأضروا باقتصاد فيتنام بما يندر أن يرى المرء مثل هذه الفظائع من جانب واحد ترتكب ضد بلد آخر. ومع ذلك فشلت أمريكا في تحطيم عظمة الشخصية لدى هذه الأمة. لم يتمكنوا من إجبار شعب فيتنام على إحناء الرأس أمامهم. واستمرت هذه الأمة تقاتل وتضحي بالأرواح ولم تركع أبدا أمام سيادة أمريكا. وفي النهاية تحطمت عزيمة أمريكا، وتبعثرت خيلاؤها، واضطروا إلى التراجع والانسحاب من فيتنام بغير أن يحققوا غرضهم. كثير من الناس يسيئون الفهم عندما يسمعون حكاية فيتنام.. ويحسبون أن الرأي العام في أمريكا وتعاطفهم الإنساني.. أن كفى ما دمرتم من الحياة، ويجب ألا يتكرر مرة أخرى.. هو السبب في تراجع الأمريكان. كلا، قطعا ليس هذا بصحيح. ما كان الرأي العام الأمريكي ليتألم حتى لو هلك عشرة ملايين من الفيتناميين. ما كان ليعاني بقدر ما عانى لهلاك بضعة طيور بحرية. ولكن ضياع الأرواح الأمريكية، وتحدي السلف الأمريكي كان جحيما روحيا ما كان باستطاعتهم تحمله.

فمن بين أسباب هذه الحرب أيضا كانت تلك الخلفية السيكولوجية. يرى الأمريكان كبرياءهم المهشم، وتدمى جراحهم إلى اليوم، فيحسون الحرقة في قلوبهم.. ويريدون الانتقام من فيتنام في العراق، ويقولون في أنفسهم: سوف نحطم عزيمتهم ونشعر بالراحة والرضا.

ويجب علينا أن ندعو الله تعالى ألا يسمح للآلهة الباطلة أن تفرض نفسها على عباده. إن أشد آلام الدنيا هوما يصيب توحيد الله من جراح. إذا تركت الأرباب الباطلة تمارس "ربوبيتها".. فمن أين يأتي عباد الله الإله الواحد الأحد.. وأين يعيشون؟ إنهم لا يستطيعون العيش بعد ذلك في هذه الدنيا. فأعظم الأخطار هوعلى توحيد الله تعالى، وعلى بيت الله تعالى، وعلى شرف بيت الله تعالى. إن الخطر على سمعة توحيد رب المصطفى ﷺ. الحق أنه لن يكون الخطر إن شاء الله على التوحيد.. ولكن استثارة لتأييد الله تعالى.. يجب أن نتضرع ونبتهل كما ابتهل النبي الأكرم ﷺ يوم بدر، مشيرا إلى تلك الحفنة القليلة من صحابته الأوفياء.. المحبين لله وللرسول: اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض أبدا. فالمسألة اليوم هي مسألة شرف توحيد الله وتفوقه. ويمثل الأحمديون جبهة باسلة في هذاالمجال. وأقول لكم بإيمان راسخ أن الأحمديين في مشارق الأرض ومغاربها.. كأعضاء الجسد الواحد.. مستعدون اليوم للتضحية بكل شيٍ في سبيل توحيد الله، ومستعدون غدا، ومستعدون دائما، إن شاء الله تعالى.

تذكرون أن سيدنا الخليفة الثالث لسيدنا المهدي عليه السلام كان يقول: «إن القرن القادم هو قرن غلبة التوحيد وتمكنه». وهذا صحيح تماما. فكل المخاطر التي يتعرض لها توحيد الله اليوم إنما تشب كي تعدّنا وتخبرنا: لقد أُقمتم لأداء هذه المسئوليات العظام.

وأهداف هذه الحرب، وما في خلفيتها من أسباب نفسية، كل هذه وثيقة الصلة أيضا بالتاريخ. ولما كنت أريد إنهاء هذا الموضوع في خطبتي القادمة إن شاء الله تعالى، لذلك سأطيل خطبة اليوم قليلا حتى لا يطول الموضوع إلى الخطبة الرابعة.

هناك خلفية تاريخية لهذه الحرب أو لإنشاء إسرائيل بكل حروب المسلمين والنصارى. لابد وأنكم تذكرون أن الغارات الصليبية بدأت عام ١٠٩٥.واسترد السلطان صلاح الدين فلسطين عام ١١٩٠ أو ١١٩١،فلم يتمكنوا بعدها من الاستيلاء على فلسطين.. واستمرت هذه الحروب لمدة ٢٠٠ عام. لم يكن المسلمون أبدا البادئين لهذه الحروب، ولكن البلاد الأوربية تضافروا في الغارات على العرب المسلمين ثماني مرات. كانوا ينجحون أحيانا، وينهزمون أحيانا أخرى. وفي النهاية استطاع المسلمون إنقاذ فلسطين من براثنهم. ولم يزل هذا الجرح من جراحهم داميا حتى اليوم، ولم ينسوه أبدا. يشعرون بألم عميق كيف أن القوى الأوربية العظمى تتحد في هجومها المتوالي مرة بعد أخرى، ويشترك في هذه الغارات ريشارد قلب الأسد (Ritchard The Lion Hearted)، وغيره من ملوك فرنسا الطغاة وألمانيا وبلجيكا.. ثم يخرجون فاشلين لم ينالوا خيرا! هذا الجرح لا يزال يؤلمهم من ناحية، ومن ناحية أخرى طالما لقوا الهزائم المتكررة على يد الإمبراطورية العثمانية التي حكمت شطرا كبيرا من أوروبا. هذا

جرح ثان سبب لهم الألم ولن يبرح يؤلمهم.

هذا ملخص ما جعل الأوربيين يعتقدون أن الإسلام خطر عليهم، فبسبب الحروب الصليبية الطويلة وسيادة الإمبراطورية العثمانية وعلى الخصوص في زمن السلطان سليمان العظيم، وما تعرضت له القوى الأوربية من هزائم متكررة.. كل ذلك أقر في خلفيتهم النفسية أن المسلمين قمعوا كل اعتداءاتنا بقوة (وهم بالطبع لا يقولون عدواننا وإن كانت في الواقع عدوانا).. فيجب ألا نعطيهم مثل هذه الفرصة أبدا في المستقبل فيحموا مصالحهم منا.

وهناك خلفية أخرى مثيرة للاهتمام ومؤلمة جدًا أيضا. عندما عرض الصهيوني تيودور هرتزل لأول مرة مخططه لإنشاء دولة إسرائيل.. برر ذلك بأننا نُضطهد منذ آلاف السنين، وعلى وجه الخصوص تعرضنا للاضطهاد في أوروبا.. كما حدث في فرنسا عندما اتُهم يهودي في قضية باطلة، ربما كان اسمه دروفوس. وبهذا الصدد سافر هرتزل من النمسا إلى فرنسا، وكان متأثرا للغاية بسبب ما تعرض له اليهودي من ظلم حتى إنه بدأ هذه الحركة. فبرر مطلبه بإنشاء دولة إسرائيل بأننا نُضطهد في أوروبا! وفي ذلك الوقت لم يفكر أحد بأن الاضطهاد يقع في مكان ويتم الثأر له من أهل بلد آخر. فأين المنطق في هذا؟ وبدخولهم فلسطين كيف يتوقف اضطهادهم في أوروبا؟

إن اضطهاد البلاد المسيحية الغربية لليهود حقيقة واقعة. لقد أنزلوا بهم الفظائع المرعبة الرهيبة. واليهود محقون تماما في أن أمتهم كانت هدفا للمظالم والعدوان المتكرر لألف عام.. بما لم تتعرض له أمة أخرى من أمم العالم. وسأضع أمامكم بعض ما يتعلق بهذا.

بدأت الحملات الصليبية عام ١٠٩٥ من فرنسا، وكان أول من حركها نبيل فرنسي من مكان يدعى بويلان (Bouillon)، وانضم إليه ملوك فرنسا، ونظموا الحملة الأولى. فقال: في سبيل هذا الغرض النبيل يجب أن نقدم قربانا. وحسب نبيل بويلان كان خير قربان يقدم في هذه المناسبة أن ينتقموا لسيدنا عيسى ويقتلوا كل اليهود. وكما في عادة المسلمين أن يقدموا وقت الشدائد أو المهمات العظيمة قربانا أو أضحية.. كذلك فعل هؤلاء الصليبيون وقاموا بمذبحة على نطاق واسع في فرنسا.. ويندر أن ينطلق الطغيان بمثل هذا الوصف ضد أمة بلا حيلة. وكانت هذه أضحيتهم لحملتهم الصليبية الأولى. بعد ذلك صار من تقاليدهم على مدى ٢٠٠ عام أن يذبحوا اليهود قبل خروجهم لحملة صليبية. وهكذا فإن فظائعهم بينة واضحة.

وتقدم الأضاحي أيضا لطرد الشرور، وفي هذا الصدد أيضا كانوا يذبحون اليهود. وعلى سبيل المثال، لعلكم سمعتم «بالموت الأسود» الذي انتشر في أوروبا فيما بين ١٣٤٧ إلى ١٣٥٢، وكان وباء من الطاعون الرهيب.. جاء من الصين، وانتشر بالتدريج من شرق أوروبا حتى وصل إلى هنا. خلال هذه المحنة، ولكي يتخلصوا من الشر أخذوا يضحون باليهود، ولفقوا عنهم كثيرا من الحكايات الباطلة تقول بأن كل ما نزل بهم هو بسبب شؤم اليهود، ولاسترضاء الرب وطرد الشر لابد من القضاء على نذير شؤم اليهود. ولسوف تعتريكم الدهشة لو عرفتم كيف أن أعدادا لا حصر لها من اليهود قتلوا وأُحرقوا أحياء في بيوتهم. والتقديرات التقريبية تقول بإفناء اليهود من ٦٠ مدينة كبيرة، ومن ١٤٠ بلدة صغيرة. وهذا هو الانتقام النصراني الثاني ضد اليهود.

أما الانتقام الثالث الكبير.. وكان هناك انتقامات أخرى عديدة، لكن هذا أكبرها، فهو الذي قام به النازي في ألمانيا. ومع أن الخبراء لا يتفقون على الأرقام، فإن اليهود يصرون على أن ٦ ملايين يهودي فقدوا حياتهم داخل غرف الغاز، وقاسوا غير ذلك من الفظائع. ووقع كل هذا خلال ١٠ سنوات.

فقد حدثت إذن مظالم وشناعات رهيبة مفزعة تقتضي المطالبة بوطن قومي لليهود. كان هذا منطقهم. وفي تلك الأوقات، كان اليهود يفرون من التعذيب والاضطهاد ويجدون ملاذهم في ظل المسلمين بفلسطين. التاريخ يثبت ذلك. كما يؤكد التاريخ أيضا أن المسلمين في عصور سيادتهم لم يرتكبوا مثل تلك الفظائع ضد اليهود. فتح المسلمون فلسطين مرتين.. أعطوا فيها الحماية الكاملة للأرواح والممتلكات، ولم يصب أي يهودي أو مسيحي بضرر. مرة في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومرة فتح السلطان صلاح الدين الأيوبي فلسطين. يقول الباحثون العلماء أنه باستثناء هاتين المرتين.. لم تحدث ولا مرة واحدة أن غزا جيش فلسطين ولم تقع مجازر واسعة. فمثلا عندما غزا جزء من فلسطين الملك ريتشارد قلب الأسد ذبح كل اليهود والمسلمين رجالا ونساء وأطفالا، ولم ينج منهم أحد.

هذا هو تاريخ تلك الأمم، وعدالتهم ومساواتهم ورحمتهم وقيمهم الإنسانية. وهذا ما أجبر اليهود، وأدرك هرتزل أنهم لا يملكون حماية أنفسهم. أقول: إذا لم تكن لهم حماية في أوربا كان ينبغي عليهم الفرار منها. ولكن أي نوع من العلاج كان هذا.. لتبقى أوروبا كلها تحت سلطانهم، بل ويمدون سلطانهم هنا أيضا، وبالإضافة إلى ذلك يذهبون ويعيشون في وسط المسلمين؟ إنه ليس علاجا إذن، ولكنه يشبه حال من رفسه الحمار فقطع رجل الجمل! إنه لظلم عظيم أن يضربك أحد فتعاقب الآخر.. وليس في ذلك منطق سليم أبدا.

أشعر أن القوى النصرانية أيضا لديها خلفية سيكولوجية،

وينبغي التفكر في سبب كل هذه الاعتداءات المتكررة ضد اليهود. يبدو أن موقف اليهود التاريخي من أن العين بالعين، جعلهم حتما يثأرون من تلك الاعتداءات، وكانت هناك سلسلة تاريخية من الأحداث، يأخذ فيها اليهود ثأرهم سرًّا شأن الضعفاء.

إذ ليس ممكنًا لليهود أن يستمروا في تجاهل تاريخهم على مدى ألفين من السنين، ويخلعوا مزاجهم عن فطرتهم الأساسية. ذلك مستحيل. لا يحفظ لنا التاريخ ما كانوا يفعلون، وكل ما نعرفه أنهم كانوا دائما موضع اتهام ببعض الجرائم، وكانوايعاقَبون. فالفظائع التي ارتكبت في حقهم يذكرها الغرب جيدا ويعرف طبيعتهم. وتكشف شخصية شيلوك (Sherlock)، في رواية اليهودي التائه لشكسبير صورة أدبية لولَعِهم بالانتقام. وفي مثل هذا الموقف.. وربما لم يَدُر ذلك بخلدهم أول الأمر، ولكنهم بالتدريج فكروا: لماذا لا نحول خطر اليهود بعيدا عنا ونوجهه نحو عالم الإسلام؟ إن هذا يحقق لنا ميزة مضاعفة.. إذ نقتل عدوين في وقت واحد.

وهناك نكتة سخيفة تعكس هذا المزاج: يقال ثلاثة شبان أرادوا الزواج من فتاة واحدة. وكان أحدهما شديد الذكاء، فجلس في هدوء وترك الآخرين يقتتلان. سأله بعضهم: إنك ماهر جدا ولكنك لا تبدي اهتماما؟ فأجاب: لا تقلق، إني أحرضهما على التقاتل، فإذا قُتل أحدهما كنت شاهدا على الجريمة.. فيُشنق الثاني، وبذلك يخلو لي الميدان.

قد تكون نكتة.. ولكنها تنفذ كجريمة رهيبة أمام أعيننا، والمؤامرة النهائية هي نفسها، أي لا ينفكون يستخدمون اليهود في الثأر من المسلمين وقهرهم إلى الأبد حتى يفرغوا نار غضبهم في المسلمين بدلاً عليهم. ولكن هذا من حماقة الغرب.. كما سأبين لكم في الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى. إنهم مخدوعون، وسيُخدَعون، وسيعرفون خطورة الأخطاء التي وقعوا فيها عندما يفلت اليهود تماما من يدهم.

وفي الخطبة القادمة سأوجه النصح أولا للقوى الغربية.. كيف يخرجون من هذا المستنقع الذي تورطوا فيه؛ وماذا ينبغي عليهم فعله حقا لإقرار السلام في العالم؛ وما هي التغيرات التي ينبغي أن يفعلوها بأنفسهم.

وثانيا سأوجه النصح أيضا لليهود.. إذا لم يتوقفوا عن نشاطهم هذا فماذا سوف سيكون مصيرهم الذي وصفه القرآن الكريم. وإذا لم يستفيدوا من هذه النصيحة فلن يكون بوسعهم النجاة من القدر.

وثالثا سوف أوجه النصيحة للعرب والمسلمين، إن شاء الله تعالى، عن الدور الواجب عليهم في هذاالعالم المتغير. فلا يكرروا الأخطاء التي وقعوا فيها آنفا، وكيف يكون برنامجهم للمستقبل.

ورابعا سوف أوجه النصح لسائر أمم العالم: كيف يبدأون في جهاد سلمي معقول للتحرر من الأرباب الباطلة. هذه المشاعر الجاهلة المثيرة الدافعة لبُغض وعداوة البريطان أو الأمريكان.. كتصرفات المجانين، لا يمكن أن تنجح في هذه الدنيا. إن القيم العليا هي التي سوف تنتصر. إنها سنة سيدنا محمد المصطفى ﷺ التي سوف تفوز. إنها سنة القيم الأخلاقية الرفيعة. لو أن المسلمين اختبروا هذه السنة فسيكونون مثلا عظيما لسائر العالم. وهذه هي السنة التي لم توجد لتلقى الهزيمة أبدا. ما من قوة على الأرض تستطيع الغلبة على السنة المحمدية. عليكم إذن أن ترجعوا إلى سنة العدل، وتتبعوا أسوته.. وعندئذ إن شاء الله تعالى، يمكن حل جميع مشاكل العالم؛ ويمكن تحقق تلك الثورة الحقة الجديدة التي يمكن تسميتها جنة الله على هذه الأرض.

وإذا لم يتبعوها.. فلن يبرحوا يتقاتلون ويموتون بنفس الطريقة، ويقاسون المحن والعنف. ونظرا لتأخر الوقت فسأكمل الموضوع في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى. والسلام عليكم ورحمة الله.

الجهاد في الإسلام ، بقية

فتحولت الصحاري بساتين خضراء والفيافي حدائق غنّاء.

ترون روح الإسلام وروح الحق تنطق هكذا، وعلى النقيض تسمعون صوت المودودي بخرافات وترهات تنال من النبي ﷺ ومن الإسلام. فرغم كل هذا الجهد الشاق والعناء الكثير الذي بذله طوال حياته في دراسة الإسلام، كان مبلغ علمه: أن السيف فعل ما لم يفعله القوة القدسية النبوية !؟ إنا لله وإنا إليه راجعون. أهذا هو صوت رجل ذي انسجام تام مع النبي ﷺ روحًا وفكرًا، كما يزعم أتباع المودودي؟ كلا والله، لا. لا تسمّوه صوت رجل ذى انسجام تام مع النبي ﷺ روحًا وفكرًا، وإنما هو صوت كصوت أعداء الإسلام. إنه صوت المستشرق ميجور أورسبرن الذي تغلغل في دمه الثائر على الإسلام. أو إنه صوت تلك النار النجسة التي تأججت في قلوب أعداء النبي ﷺ لآلاف السنين حسدًا من عند أنفسهم. والله، إن هذه العبارة لتصيب كل كياني بزلزال، وتؤجج في قلبي نارًا. إنها ليست كلمات، بل أحجارًا لا ترحم. إنها ليس كلمًا، بل خنجرًا حادًا غادرًا يقطّع قلب كل عاشق صادق للنبي ﷺ قطعًا. إنه لخنجر مسموم يصيب القلب بجروح عميقة موجعة جدا. هل تسمون صاحب هذا الصوت "ذا انسجام تام مع النبي ﷺ روحًا وفكرًا". كلا، ثم كلا، بل هو صوت المستشرق ميجور أورسبرن، أو صوت المرتد عن الإسلام القسيس عماد الدين. بالله عليكم لا تسموه روح الإسلام، بلا سموه روح المودودية. الحياء الحياء، من تسميته روح الإسلام.

بقية ص ٧

صوت السماء

هذه الأبيات الفريدة تعريب منظوم من الأستاذ المولوي ظفر محمد ظفر (رحمه الله) لقصيدة باللغة الأردية للأستاذ عبد المنان ناهيد، ألفها بمناسبة إرساء حجر الأساس لمسجد «بشارة» في أسبانيا سنة ١٩٨٠ على يد حضرة الحافظ مرزا ناصر أحمد (رحمه الله) الخليفة الثالث لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، وقد نُشرتْ القصيدة الأردية في جريدة «الفضل» (باكستان) في عدد ٢٤ ديسمبر ١٩٨٠.

لقد كان للأستاذ المولوي ظفر محمد ظفر يدٌ طُولى في اللغة العربية نظمًا و نثرًا، وقد عمل أستاذًا في الجامعة الأحمدية (معهد تأهيل الدعاة) بربوة.

يا حبذا لو تفضل أحد الإخوة ذو الصوت العذب الأخاذ بقراءة القصيدة وإرسالها إلينا مسجلة في شريط.

[التحرير]

وَحَى السماءُ أَلاَ لا إله إلا اللهْ ... وفي القلوب سَرَى لا إله إلا اللهْ
إذِ البِحارُ برقصٍ تموَّجتْ طربًا ... نشيد جملتهَا لا إله إلا اللهْ
ترى الفضاءَ طروبًا بحسن جلوتِها ... ولحنُ نغمتِها لا إله إلا اللهْ
من السماءِ إلى الأرضِ نقشُ قُدرته ... وحُسنُ لهجتِها لا إله إلا اللهْ
ألا متاعُ غُرورٍ حياتنا الدنيا ... ونورُ فطرتِها لا إله إلا اللهْ
وشرفُ سجدةِ آدمٍ بهذه النغمهْ ... علاجُ داء «أنا» لا إله إلا اللهْ
وبردُ شعلةِ نارٍ وذبحُ إسماعيلْ ... فكَانَ أصلُهما لا إله إلا اللهْ
بِناءُ معركةِ الكربلاءِ إذْ وقعتْ ... أكان شيءٌ سوى لا إلهَ إلا اللهْ
مقامُ عارِفِه بين خيفةٍ ورَجَا ... وكان بينهما لا إله إلا اللهْ
صعالكٌ وملوك ترى جميعَهُمْ ... لخيرِه فُقرَا لا إله إلا اللهْ
عِقارنا وبَنُونا متى تساعدنا ... تحلُّ عقدتنا لا إله إلا اللهْ
فلا أخافُ عتابًا ولا أُريدُ رضًى ... بما جُننتُ أنا لا إله إلا اللهْ
فلستُ أطلُبُ أثمار جنةٍ أبدًا ... نعيمُ جنَّتِنا لا إله إلا اللهْ
به الحياةُ تقوم ومنهُ جوهرُها ... لهُ البقاءُ ألا لا إله إلا اللهْ
هو اللطِيفُ فما مُبصرٌ بمدركه ... هو الخبير ألا لا إله إلا اللهْ
أآلَ فارسَ «التوحيدَ» شأنَكُم ... أتأذنونَ لها لا إله إلا اللهْ
لكم بزمرةِ «من هؤلاء» رابطة ... لأنتم السعدَا لا إلهَ إلا اللهْ
أتسمعون نداءَ الخليفةِ الثالِثْ ... نداءَ «ناصرنا»: لا إله إلا اللهْ
مُباركٌ لك أندلُسْ تجدُّد العهدِ ... بناءُ مسجدنَا لا إله إلا اللهْ
أأَرضَ أندلُسَ بُشرى أراكِ لامعةً ... إلى الزمان مضى لا إله إلا اللهْ
وسوف تطلع بالغرب شمس ملَّتِنا ... وشمسُ ملَّتنا لا إله إلا اللهْ
مناظرٌ لطلوع السراج معجبةٌ ... تُضيءُ مغربَنا لا إله إلا الله
ترى ابنَ مريم ربًّا خليقةٌ سفهًا ... وسوفَ تتركُها، لا إله إلا اللهْ
لعدٌّ ذرِّ رمالٍ فهيّنٌ سهلٌ ... ومعجزٌ عددًا لا إله إلا اللهْ
وأنفُسٌ أنِفت ذكر ربِّهَا وغدًا ... تكونُ كلمتُها لا إله إلا اللهْ
بفيضِ من هو نورٌ للعٰلمين ترى ... تقيم ساعتها لا إله إلا اللهْ
ديارَ أندلُسَ بُشرى تعود كرتُنا ... وسيفُ كرَّتِنا لا إله إلا اللهْ
أطارقُ ابنَ زيادٍ أتى يُهنئُكم ... نداء «ناصرنا»: لا إله إلا اللهْ

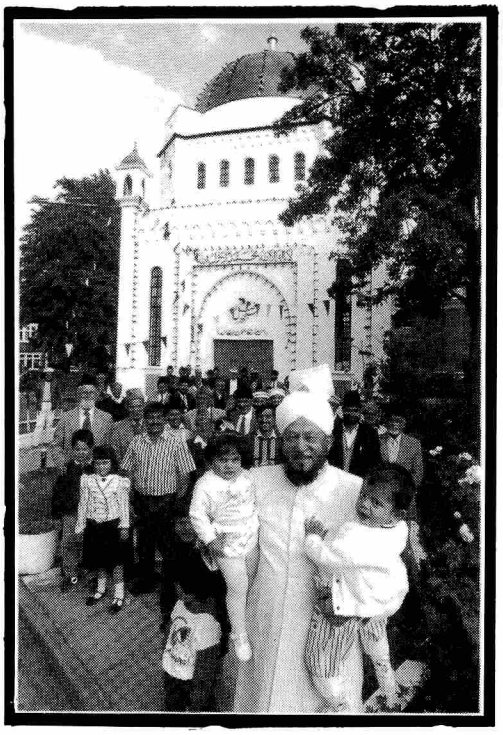

"حياة في يوم"

إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية

حضرة مرزا طاهر أحمد

أجرى الحديث سوزان رافن (Susan Raven)، مع المصور ستيفن هايد (Stephen Hyde)، من مجلة (Sunday Times)، الصادرة في لندن يوم ٦، ٨، ١٩٨٩

«حضرة مرزا طاهر أحمد (خليفة الجماعة الأحمدية، التي يبلغ عددها ١٥ مليونا، وهي طائفة إسلامية قوية، تؤمن بتوحيد البشر سلميا) مولود في شرق بنجاب. والده مزارع أنجب ١٣ ولدا و٩ بنات من بضع زوجات. درس في جامعة بنجاب، وفي مدرسة الدراسات الشرقية الأفريقية بلندن. اشتغل في خدمة الجماعة منذ نشأته حتى صار الخليفة عام ١٩٨٢. قدم إلى بريطانيا عام ١٩٨٤، السنة التي أصدر فيها الجنرال ضياء أمره العسكري المضاد للإسلام. يعيش في سوثفيلدز بجوار أول مسجد أُنشئ في لندن.. مع زوجته السيدة آصفة، وبناته وزوج ابنته، أما ابنته الأخرى فتقيم مع زوجها وأولادها في مسكن يواجه المسجد عبر الشارع. وللخليفة ستة أحفاد».

* استيقظت هذا الصباح في الساعة الثانية قبل الفجر. في شهر رمضان تقصر أوقات نومنا، لكن تحسّين أنها لا تقصر بما يكفي للتعبد. عندما أنهض من النوم أتوضأ، وأرتدي عباءتي الكشميرية الفضفاضة، ثم أُصلي في ركوع وسجود متجها إلى مكة المكرمة. وفي حوالي الساعة الثالثة أوقظ زوجتي وبناتي ليصلين منفردات.

* * أعد طعام فطوري بنفسي، وكلنا يفعل ذلك. تناولت اليوم قطعة من الخبز مع عجة بيض وشيء من الزبادي البيتي. ثم أجلس عادة لاحتساء قدح من القهوة التي أطحنها وأجهزها بيدي من خليط من كينيا وجنوب أمريكا. بعد ٢٠ دقيقة أستعد للنزول إلى المسجد، فأتوضأ مرة ثانية: بغسل اليدين، والمضمضة والاستنشاق والاستنثار، ثم غسل الوجه واليدين حتى المرفقين، ومسح الرأس حتى مؤخرة العنق مع دفع الإصبع في ثنيات الأذن. هذا الوضوء يحدث إحساسا مهدئا يساعد على التركيز، ثم أغسل القدمين، وإذا كنت أرتدي الجورب فأكتفي بمسح رمزي على القدمين. وأخيرا أضع قدمي في الخفين، وعمامتي على رأسي، وهي تكون ملفوفة جاهزة.. وتبقى هكذا ثلاثة أو أربعة أيام، ولقد حللتها الآن لخلعها. كان من عادتي أيضا أن أحتفظ برباط عنقي مربوطا جاهزا، وذلك يوفر كثيرا من الوقت، وكان زملائي الطلاب يتفكهون معي لهذا السبب.

* * تبدأ صلاة الصبح في المسجد دائما بعد الفجر بعشرين دقيقة. هناك صلاة جماعية وصلاة شخصية لكل ما تريد أن تلتمسه من الله تعالى. والصلوات الشخصية تختلف من يوم ليوم. كما أنه ينتظر مني أن أصلي وأدعو للجماعة كلها. تأتيني رسائل من جميع أنحاء العالم، وأحيانا تكون القائمة طويلة. كنا منذ ١٥ عاما نقدر

بعشرة ملايين في ٨٠ بلدا. الآن يتعذر الوقوف على العدد بدقة ولكننا نتواجد في ١٢٠ بلدا.

* * عقب صلاة الفجر مباشرة أخرج كل يوم للسير النشيط لمسافة خمسة أميال، مرتديا حلة الجري وحذاء التدريب وقلنسوة خفيفة بدلا من العمامة. وأستحم بعد ذلك إذا توفر بعض الوقت، ولكن حمام الجمعة ضرورة لازمة. أملأ دلوا بالماء الدافئ وأصبه على بدني، لأني أكره الجلوس وغمر البدن في نفس الماء.

* * كنت ألعب الاسكواش إلى ما قبل عامين، ولكن بعض أعضاء الجماعة أحسوا بالقلق من مخاطر اللعب.. كأن يصيبني المضرب أو أصطدم بالجدار، وخشى البعض على قلبي. استشرت أخصائيا في القلب، فقال أنه لا بأس من اللعب أبدا على أن أتوقف عند تسارع النفس. أتعشم ألا يكون توقفي عن ممارسة الاسكواش نهائيا.. كنت ألعب بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، وكان أول درس لي على يد اللاعب الأعظم هاشم خان.

* * في رمضان أفضل دراسة القرآن الكريم أكثر من المعتاد. وأخصص وقتا للصلاة أطول كثيرا من سائر الأيام. وهذا بالطبع على حساب أوقات الراحة والنوم لأن العمل المكتبي المعتاد مستمر. في هذه الأيام أنزل إلى مكتبي في الساعة الثامنة صباحا. ولكن أبدأ العمل في غرفتي قبل ذلك بكثير.. فإني أحمل معي دائما حقيبة للبريد عندما أصعد مساء إلى غرفتي. يصل بريدي اليومي إلى ألف رسالة، وأقله ٣٠٠ رسالة. لي سكرتير خاص واحد، أما هيئة المكتب والسيدات فهم جميعا متطوعون يعملون ليساعدو ني في مهامي اليومية. في باكستان كان يساعدني ١٠٠ من المكتبيين، والآن سمح لي باصطحاب ٢٤ من أفراد أسرتي وهيئة مكتبي. عندي قسم صيني، وبنغالي، وروسي، وأفريقي، وأردوي، وإنجليزي، وأحيانا ألماني وتركي وفرنسي وهولندي. أدون ردودا موجزة على بعض الخطابات، وأصنف في مجموعات وتقوم هيئة المكتب بكتابة الردود.

* * إلى جانب ذلك لدي بريد رسمي عن الأنشطة اليومية للجماعة، حول المسائل المالية والتربوية وغيرها. ولي مواعيد لقاءات يومية مع الزائرين القادمين من الخارج ومع الأسر المحلية. أخصص وقتا سخيا لهذه اللقاءات، ولمقابلاتي مع هيئة مكتبي.

* * أسافر رسميا لمدة ثلاثة أشهر في العام. تصحبني زوجتي عادة، وبناتي من حين لآخر. هذه هي هوايتي الحقيقية عندما تكون معي أسرتي في رحلاتي. لقد زرت ٣٠ بلدا من ١٢٠ تتواجد فيها الجماعة.

* * لا تزال رئيسة التنظيم النسائي العالمي في الجماعة إحدى أمهاتي. لقد توفيت والدتي عندما كنت في الرابعة عشر من العمر، ولكن نشأنا على اعتبار كل زوجات أبي أمهات لنا. كان والدي يتزوج أحيانا بعد وفاة زوجته، وأحيانا لم يفعل. كان له في بعض الأوقات أربع زوجات، وأحيانا ثلاث أو اثنتان. كان يحتاج الزوجات لرعاية التنظيمات النسائية.

* * كنت طالبا ضعيفا جدا. لم يقبلني معهد الدراسات الشرقية والأفريقية إلا لأن المستر رالف تيرنر عميد المدرسة كان رقيق الحاشية نحو والدي. كان أبي يريدني أن أتعلم عن الغرب، فأخذت الإشارة منه وتناسيت دراستي، وأقمت صداقات، ورحلت كثيرا إلى إسكتلندا وأيرلندا وأوروبا. وبالطبع رسبت في الامتحانات الدراسية، ولم أحصل على درجات جيدة إلا في علم الصوتيات!

* * طعام الغداء يكون حوالي الساعة الثانية. أتناوله عادة مع زوجتي وواحدة أو اثنتين من بناتي. عندي طباخ من باكستان مقيم بتصريح من الحكومة البريطانية. من حين لآخر نتناول طعاما إنجليزيا، أفضل منه اللحم البقري المشوي، والسمك على الطريقة الإنجليزية. نعم، السمك ورقائق البطاطس. أحب أن أطهو بنفسي، فهذه هوايتي.

* * لي غفوتان قصيرتان في اليوم: الأولى فيما بين السادسة والنصف والسابعة، والثانية نصف ساعة بعد الظهر. بداخلي جهاز تنبيه فطري يوقظني عندما أريد ذلك. تبدأ حياتي الثانية عندما يغادر الناس مكاتبهم ويأتون إلى المسجد. ولكنها تنتهي عند وقت الصلاة الآخرة، ويسجو الليل، عندئذ أعود إلى بيتي.

* * طعام العشاء ما بين الثامنة والعاشرة تبعا لغروب الشمس. يكون البيت عادة مكتظا بالضيوف. أحيانا نكون أكثر من عشرين، ولو كانت الأسرة وحدها مع زوجتي وبناتي وأحفادي نكون على الأقل أربعة عشر. في الغالب أكون في بيتي مساء. أشاهد نشرة أخبار العاشرة وبرامج المناقشة حولها. عندما كنت صغيرا اهتممت بالروايات التاريخية ل«لوشرلوك هولز» في دروس الترجمة، والآن أهتم بالمجلات العلمية.

* * أحيانا أعود من المسجد في الحادية أو الثانية عشرة. عند عودتي أتناول مشروبا. الكحول محرمة تحريما قطعيا. اكتشفت أخيرا تحضيرا صينيا يسمى «لبن الصويا». ثم أصلي صلاة خاصة أخيرة قبل النوم. أستغرق في النوم عندما يسقط الكتاب الذي أقرأه من يدي على صدري. ينبهني الضوء فأطفئه وأنام.

(القسط الثاني)

الجهاد في الإسلام.. وموقف الأحمدية

ترجمة: عبد المؤمن طاهر عبد العزيز

كان الدكتاتور الباكستاني الراحل ضياء الحق قد أصدر في ٢٦، ٤، ١٩٨٤ حكما عسكريًا غاشمًا يحرم المسلمين الأحمديين في باكستان حقَّهم في إعلان دينهم الإسلام الذي يدينون به من الأعماق، أوالنطق بالشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، أو إلقاء تحية الإسلام، أو الصلاة على النبي ﷺ، أو رفع الأذان للصلاة، أو قراءة القرآن الكريم، أو كتابة أو حيازة آياته، أو تسمية أنفسهم مسلمين، إشارة أو صراحة، شفويًا أو كتابيًا، أو تسمية مساجدهم مساجد!!

وبعدها نشرت حكومته كتيبًا باسم «القاديانية.. خطر شديد على الإسلام» لتبرير ما قام به هذا الدكتاتور من إجراءات جائرة منافية لتعاليم الإسلام السمحاء وسنة نبي الرحمة ﷺ، وسمّته «البيان الأبيض». وكان الأجدر أن يطلق عليه «البيان الأسود»، لما فيه من أعذار سخيفة لتبرير هذا القرار الفرعوني الغاشم، تسوّد وتشوه وجه الإسلام الأغر.

ولقد قام إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية سيدنا مرزا طاهر أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز، بالرد على هذا «البيان الأسود»، محلّلا ومفنِّدًا بعون الله كل أعذارهم السخيفة عذرًا عذرًا، في سلسلة طويلة من خطب الجمعة (ثماني عشرة خطبة)، في أوائل سنة ١٩٨٥. وبدأت «التقوى نشر هذه الخطب القيمة والهامة جدًا في عدد يناير ١٩٩٠، ولقد تم نشر خطبتين أوليين حتى عدد مارس ١٩٩٠. ولكن انقطع نشرها بعد ذلك للأسف الشديد لأسباب قاهرة. وقد شاء القدر أن تعيد «التقوى» نشرها من جديد من عدد يناير ١٩٩١، وقد استجدت على الساحة العالمية وخاصة العربية أحداث جسام، ليعرف الجميع من الذي يوالي الاستعمار، والاستعمار يواليه ويعمل له، حفاظًا على مصالحه، ونهبًا لثروات المسلمين، ونيلاً من الإسلام وأهله. والحمد لله الذي هتك أسرار هؤلاء القابضين على ثروات المسلمين وأعرى هؤلاء المتاجرين بالدين والمحاربين بعباءة الإسلام وبأموال البترول جماعتَنا الشريفة المسالمة التى راهنت نفسها ونفيسها لرفع راية الإسلام في كل العالم. فكان هؤلاء يُغدقون الملايين من أموال البترول على مشائخ «رابطة العالم الإسلامي» وبعض مشائخ الهند وباكستان، لينشروا دعايتهم المسمومة المشوهة ضدنا في العالم، وليقولوا له بأن هؤلاء عملاء الإنجليز والاستعمار. وكنا نستنكر ونفنّد بكل شدة دعايتهم المغرضة، ولكن بسبب وسائلنا المحدودة كانت أموال البترول تحول دون صوتنا ودون العرب الشرفاء الذين كانت آذانهم لا تسمع إلا من طرف واحدٍ. ولما تجاوزوا كل الحدود وبلغ السيل الزُبى وجّه إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية في ١٩٨٨ دعوة للمباهلة إلى هؤلاء المتاجرين بالدين «خادمي الاستعمارين الأمريكي والأروبي» وإلى غيرهم من أعداء الحق، وسأل المولى عز وجل أن يميز بين الصادقين والكاذبين. فقبل عز وجل تضرعاته وابتهالاته، وها قد هتك أسرارهم وعلمائهم المستأجرين. فالحمد لله أولا وآخرا.

وهذه الخطبة ألقيت بيوم ١٥ فبراير ١٩٨٥، بمسجد «الفضل» لندن. [المحرر].

هذا هو فتواه عن «نسخ الجهاد»! ألا ترون ما الذي نسخه حضرته؟ ألا ترون أنه عارض النظريات الخاطئة للجهاد التي روّجها بعض المشائخ الجهال والقساوسة الأشرار، وحارب تلك النظريات الخاطئة الخطيرة التي ما كانت لتنفع الإسلام والمسلمين أبدًا، لأنهم ما كانوا قادرين على محاربة أحد وإنما كانت تتسبب في جلب أخطار شديدة ممن حولهم من الأعداء. يقول سيدنا المهدي والمسيح عليه السلام:

«سبحان الله، ما أتقاهم وأشدهم اصطباغًا بصبغة الأنبياء أولئك الذين إذا أمرهم الله بمكة بألا يرددوا الشر بالشر ولو مُزّقوا إربًا، تواضعوا وتمسكنوا وكأنهم أطفال رضّع ضعفاء ما بأيديهم من قوة. فقُتل بعضهم بوحشية بحيث رُبطت بقوةٍ إحدى رجلي المرء ببعير ورجله الأخرى ببعير آخر، ثم ركضوا البعيرين في اتجاهين مخالفين، فقُطع جزئين في لمح البصر كما تُقطع الخضار كالجزر وغيرها.

ولكن الأسف أن المسلمين، وبالأخص مشائخهم، صرفوا أنظارهم عن كل هذه الأحداث، وبدأوا يزعمون أن أهل الدنيا كلهم صيدٌ لهم، وكأنهم يتربصون بهم كالصياد الذي يطلع على وجود غزال في غابة، فيتسلل إليه في الخفاء ليطلق عليه الرصاص من البندقية. هذا هو حال معظم المشائخ. إنهم لم يقرأوا حرفًا واحدًا من دروس الرفق والعطف على بني الإنسان، وإنما يرون أن اغتيال رجل بريء في حين غفلته برصاصة من مسدس أو بندقية هو الإسلام. أين فيهم قوم يُضربون فيصبرون كالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. هل أمرنا الله تعالى أن نفاجئ رجلاً غريبا عنا، وبدون أي سبب أو أية جريمة، فنقطعه بالسكين إربًا أو نخمد شمعة حياته بالرصاص؟ هل يعقل أن يكون دينًا من الله ذلك الدين الذي يأمر أتباعه: اقتلوا خلق الله الأبرياء تدخلوا الجنة. أليس من المؤسف بل المخزي أن نصادف إنسانًا لا عداوة بل لا معرفة بيننا وبينه مشغولا في إحدى المحلات بشراء حاجيات للأطفال أو بأي شغل آخر، ونطلق عليه النار بدون سبب، فنحول زوجته أرملة وصغاره أيتامًا وبيته مأتمًا. هل من شيخ يدلنا على حديث أو آية تأمرنا بذلك؟؟ الواقع أن هؤلاء الجهال سمعوا اسم الجهاد، ويريدون أن يتخذوه سلمًا لتحقيق أغراضهم النفسانية» (الحكومة الانجليزية والجهاد، ص ١٢ و١٣، الخزائن الروحانية ج ١٧).

شروط الجهاد بالسيف مفقودة

أليس هذا هو التصور الخاطئ الذي ألغاه سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام؟ هل من شيخ يفتي اليوم بجواز جهاد كهذا؟ فلا غرو أنهم يتهمون حضرته كذبًا وزورًا، لأن ما حرمه حضرته إنما هو تلك النظريات الخاطئة للجهاد التي اختلقها معارضوه من عند أنفسهم. أما اليوم فقد ظهرت تصوراتهم هذه الخاطئة على السطح، ولكنهم كانوا يخفونها حينذاك عن الإنجليز، إذ كانوا يقولون لهم عندئذ نفسما أفتى به سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. سوف أقرأ عليكم بعض ما قالوه عن الجهاد حينذاك حتى تدركوا مدى الخبث الذي انطوت عليه طبائع أعدائه عليه السلام. إن الله عز وجل لا يصطفي عباده ولا يحببهم بدون سبب وبسهولة، وإنما يجعلهم يمرون عبر أتون ابتلاءات قاسية وآلام شديدة، فيواجهون معارضة أشد الخَلق ظلمًا، ولكنهم يصبرون على أذاهم، فيُكتَبون في السماء من عباده الأخيار ومن أحبائه. يستمر حضرته موضحًا موقفه في الجهاد ويقول:

«فرُفعت هذه السنة برفع أسبابها في هذه الأيام، وأُمرنا أن نعدّ للكافرين كما يعدون لنا، ولا نرفع الحُسام قبل أن نُقتَل بالحسام» (حقيقة المهدي ص ٢٨، الخزائن الروحانية ج ١٤).

وأيضا يقول:

«إن الجهاد في هذه الأيام قد اتخذ اتجاهًا روحانيًا. فالجهاد في زمننا هذا إنما هو بذل المساعي لإعلاء كلمة الإسلام» (مكتوبات سيدنا المهدي عليه السلام إلى حضرة مير ناصر نواب. نقلاً عن نشرة «درود شريف» بقلم المولوي محمد إسماعيل ص ٢٦).

إذًا فلم ينسخ حضرته الجهاد، وإنما ألغى ذلك التصور الخاطئ للجهاد الذي ابتدعه المشائخ من عندهم. لأن الجهاد بالسيف، وهو أحد أنواع الجهاد المتنوعة، إنما يجوز عند توافر شروطه. أما الجهاد بمدلوله الواسع وبصوره الأخرى، فلا يُنسخ أو يُلغى أبدًا، بل يبقى جاريًا على الدوام بصورة من الصور، وعلى المؤمن أداؤه. يقول سيدنا المهدي عليه السلام:

«عليكم ببذل الجهود لإعلاء كلمة الإسلام بالرد على تهم المعارضين،وكشف فضائل الدين الحنيف، وبيان صدق سيدنا المصطفى ﷺ للعالم. هذا هو الجهاد إلى أن يحدث الله أمرًا وصورة أخرى للجهاد». (المرجع السابق).

بمعنى أن هذا الشكل للجهاد ليس له صفة أبدية، بل كلما يلجأ أعداء الإسلام إلى استخدام الجبر والعنف في الدين يجوز لنا أيضا اللجوء إلى استخدام السيف. ولكن ما لم يحدث هذا فعلينا العمل بصور الجهاد الأخرى.

ويستمر حضرته في توضيح موقفه قائلاً:

«إن الجهاد بالسيف منسوخ الآن. (وليس كل أشكال الجهاد. أما سبب نسخ الجهاد بالسيف مؤقتًا فقد سبق أن بينه حضرته عليه السلام). غير أن الجهاد بالنفس لتطهيرها فلا يزال جاريًا. وهذا لم أقل من عندي، وإنما هذه مشيئة الله وإرادته. عليكم بالتفكر في حديث البخاري الوارد في وصف المسيح الموعود:

«ويضع الحرب». أي أن المسيح الموعود مجيئه في أمة المصطفى ﷺ سوف يلغي الحروب الدينية» (الحكومة الإنجليزية والجهاد ص ١٥).

إذًا فلم يقل حضرته إلا ما حكم به سيدنا المصطفى ﷺ. ثم يوضح حضرته الموقف أكثر فيقول:

«والأمر الثاني الذي بُعثت لأجله هو إصلاح تلك النظرية الخاطئة للجهاد التي راجت واشتهرت بين بعض المسلمين الجهال. لقد عرّفني الله سبحانه وتعالى أن الأساليب التي اعتبروها اليوم جهادًا إسلاميًا تتعارض كلية مع التعاليم القرآنية. لا شك أن القرآن الكريم قد ورد فيه الأمر بالحروب، ولكن أسباب وأهداف هذه الحروب كانت أكثر منطقًا وحكمةً من حروب سيدنا موسى وحروب يوشع بن نون. إذ كانت حروبًا دفاعية ضد أولئك المعتدين الذين حملوا السيف لقتل المسلمين بغير حق، وسفكوا الدماء بغير حق، وارتكبوا فظائع خطيرة جدًا. فأمر الله تعالى أن يُقتلوا هم الآخرون بالسيف».

هذا ملخص ما ورد في القرآن من تعاليم في شأن الجهاد في الآية التي استهللت بها خطبتي. هل من أحد من علماء الدين ينكر هذا ويطعن في موقفنا هذا؟ الحق أنهم يفترون على سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام كذبًا وزورًا وهم يعلمون، لإنهم قد طالعوا كتبه، يبدون منها قليلاً ويخفونها كثيرًا، ليثبتوا للناس عبثًا بأن حضرته عميل أقامه الإنجليز لنسخ الجهاد، ولو لم يقيموه لقُضي عليهم وعلى دولتهم بأيدي المسلمين.

فتاوى المشائخ تدين محاربة الإنجليز!!

تعالوا نقرأ الآن بعض فتاوى هؤلاء المشائخ الذين يتسابقون في اتهامنا. لا شك أنهم حينذاك كانوا يروجون نفس النظريات الخاطئة بين المسلمين في الخفاء، ولكن أمام الحكومة الإنجليزية كان موقفهم عكس ذلك.

(١) الشيخ محمد حسين البطالوي كان أكبر معارضي سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام وأشدهم طعنًا فيه بسبب موقفه تجاه الجهاد. كانت فتوى هذا الشيخ في الثورة التي قام بها بعض المسلمين الهنود ضد الحكومة الإنجليزية سنة ١٨٥٧ كالآتي:

«إن المسلمين الذين اشتركوا في ثورة ١٨٥٧ هم جد آثمين، وحسب حكم القرآن والسنة يُعتبرون من البغاة الأشرار المفسدين. إن محاربة هذه الحكومة أو تقديم أي نوع من المساعدة للثائرين عليها، ولو كانوا من إخواننا المسلمين، حرامٌ وخيانة شنيعة» (مجلة إشاعة السنة، المجلد التاسع، العدد العاشر ص ٣٠٨).

كما قال في أحد كتبه:

«فثبت جليًا من هذه الأدلة أن بلاد الهند هي دار الإسلام، رغم كونها تحت حكم دولة نصرانية. فلا يجوز أبدًا لأي حاكم مسلم سواء كان من العرب أو العجم، وسواء كان المهدي السوداني أو ملك إيران أو أمير خراسان، أن يشنّ الحرب على الحكومة الإنجليزية بالهند» (الاقتصاد في مسائل الجهاد، ص ١٦).

أي إن الشيخ البطالوي لا يفتي بوجوب طاعة المسلمين الهنود للحكومة الإنجليزية فحسب، بل يعلن لمسلمي البلاد الأخرى أيضا بأنه حرام عليكم محاربة حكامنا الإنجليز!

ويضيف في مجلته قائلا:

«حرام على المسلمين مناوئة أو محاربة الحكومة الإنجليزية بالهند لانتزاع الحكم من أيديها» (مجلة «إشاعة السنة»، المجلد السادس، العدد العاشر ص ١٨٧).

ويوضح موقفه قائلا:

«في هذا الزمن ليس هناك أية صورة شرعية للجهاد بالسيف، لأن المسلمين ليس لهم إمام تتوافر فيه صفات الإمامة وشروطها، كما ليس لديهم قوة عسكرية يأملون بها التغلب على الأعداء» (الاقتصاد في مسائل الجهاد ص ٤٢).

أقول: من أين جاءهم اليوم إمام توافرت فيه صفات وشروط الإمامة؟ هل بالحصول على حكومة عسكرية تتوافر في الرجل صفات الإمامة؟ متى أقام الله الإمامة الدينية عن طريق حكومات عسكرية!!

٢. زعيم آخر من كبار علماء الهند السير سيد أحمد خان، يصدر فتواه في الذين ثاروا على الحكم الإنجليزي سنة ١٨٥٧ كالآتي:

«إن هؤلاء قد ارتكبوا خيانة كبرى، ولا علاقة لهم بالإسلام» (ثورة الهند، للسير سيد أحمد خان).

٣. وكانت فتوى زعيم الفرقة البريلوية الشيخ سيد أحمد رضا خان البريلوي كالتالي:

«الهند دار الإسلام، ولا يصح تسميتها دار الحرب» («نُصرة الأبرار»، طبع لاهور، ص ١٢٩).

٤. كان حضرة سيد أحمد الشهيد البريلوي أحد المجاهدين الذين حاربوا السيخ الظالمين حتى أنه اتجه إلى إقليم الحدود الأفغانية لمحاربتهم. كان يحمل بين جنبيه قلبًا طيبًا يغار للإسلام والمسلمين. ولكن كان له موقف مختلف تجاه الإنجليز. يقول كاتب سيرته السيد محمد جعفر التهانيسري:

«مرة سأله سائل: لماذا لا تحارب الإنجليز الحاكمين لبلادنا والكافرين بصدق الإسلام فتطردهم منها. فأجاب حضرته: لا شك أن الحكومة الإنجليزية كافرة. ولكنها لا تظلم المسلمين ولا

تمنعهم من أداء عبادتهم وواجباتهم الدينية. نقوم تحت حكمهم بوعظ الناس وتبليغهم برسالة الإسلام بدون أية عرقلة من قبلهم... وإن واجبنا الحقيقي إنما هو نشر التوحيد الإلهي وإحياء سنن سيد المرسلين ﷺ، ونؤدي هذا الواجب في هذه البلاد بحرية تامة. فلأي سبب نحارب الحكومة الإنجليزية ونسفك الدماء مخالفين بذلك تعاليم الإسلام. وعند سماع هذا الجواب سكت السائل وفهم الغرض الحقيقي من الجهاد».

ولكن أعداء جماعتنا لم يستطيعوا تفهم غرض الجهاد إلى الآن!!

٥. ويقول العلامة شبلي النعماني:

«منذ العصر الذهبي النبوي (ﷺ) وإلى يومنا هذا لم يزل شعار المسلمين الطاعة والوفاء لكل حكومة يعيشون في ظلها. وهذا لم يكن شعارهم فحسب، وإنما هذا هو تعليم الإسلام الوارد في القرآن الكريم والحديث النبوي وكتب الفقه صراحة وكتابة» («مقالات شبلي» المجلد الأول، ص ١٧١، مطبعة المعارف، أعظم غره، الهند، ١٩٥٤).

٦. وقال الخواجه حسن النظامي:

«إن مسألة الجهاد معروفة حتى لدى كل طفل مسلم».

أقول: حتى زمن الحكم الإنجليزي كان كل طفل مسلم يعلم أن مسألة الجهاد هي كما بينه سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. ولكن بزوال حكمهم أخذت المسألة عند هؤلاء المشائخ شكلا مختلفًا تمامًا، فبدأوا يلقنون الصغار غير ما عرفته الأجيال السالفة. ويستمر السيد الخواجه قائلا:

«فهم يعرفون أنه إذا ما صدّ الكفار المسلمين من أداء فرائضهم الدينية، وأفتى الإمام العادل الذي تتوافر لديه كل أسباب الحرب من سلاح وعتاد ومقاتلين،بأن على المسلمين محاربة الكفار، فيجب على كل مسلم القيام بالجهاد. وما دام الإنجليز لا يتدخلون في شؤوننا الدينية، كما لا يمارسون ضدنا أعمالا تعتبر ظلمًا واضطهادًا، كما لا نملك أسباب الحرب، فلن نطيع، والحال هذه، أحدًا يدعونا لمحاربتهم، ولن نلقي أنفسنا بأيدينا إلى التهلكة» («رسالة الشيخ السنوسي» للخواجه حسن النظامي ص ١٧).

اعترافات المشائخ الجدد

ولقد اضطر بالاعتراف بهذه الحقيقة الملموسة حتى مناهضونا الجدد.

١. يقول المحامي السيد ملك محمد جعفر:

«في زمن حضرة المرزا (أي مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية) فإن مناهضيه الكبار من مشاهير علماء المسلمين أمثال المولوي محمد حسين البطالوي والشيخ بير مهر علي شاه الجولروي، والمولوي ثناء الله الأمرتسري، والسير سيد أحمد خان جميعًا كانوا يدينون بالطاعة والوفاء للإنجليز كما كان السيد المرزا نفسه. ومن أجل ذلك لا نجد فيما كُتب ضده من منشورات أثرًا لما يقال عنه اليوم بأنه كان يأمر المسلمين بالاستسلام للاحتلال الإنجليزي» (الحركة الأحمدية، للسيد ملك محمد جعفر، ص ٢٤٣، الناشر: سنده ساغر أكاديمي، لاهور).

فترون أن بعضًا من معارضينا أيضا يعترفون بأن علماء المسلمين قد مروا بفترتين، فترة الحكم الإنجليزي حين كانوا ينشرون للإنجليز فتاوي حول الجهاد مماثلة لموقف سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، وفترة ما بعد الحكم الإنجليزي حينما غيروا نظرياتهم بحيث صار بين نظرياتهم الأولى وبين الأخيرة بعد المشرق والمغرب.

٢. ويعترف السيد شورش الكاشميري أحد أشد المعارضين للأحمدية قائلاً:

«لقد استوردوا الفتاوي حتى من الشيخ جمال الدين ابن عمر عبد الله الشيخ عمر الحنفي مفتي مكة المكرمة، ومن الشيخ أحمد بن ذهني الشافعي مفتي مكة المكرمة، ومن الشيخ حسين بن إبراهيم المالكي مفتي مكة المكرمة. فكلهم أفتوا بأن الهند ليست دار الحرب وإنما هي دار الإسلام» (سيرة «الشيخ سيد عطاء الله شاه البخاري، ص ١٣١).

ماذا جوابكم بعد ذلك، هل عندكم من دليل فتخرجوه لنا!!

٣. والآن أقرأ عليكم ما أفتاه الشيخ المودودي. لقد اتخذ المودودي في كتابه «حقيقة الجهاد» وغيره من الكتب موقفًا متشددا جدًا حول الجهاد الإسلامي، وقدم صورة مشوهة له بحيث يندهش كل مسلم ذي عقل وشعور عندما يرى المودودي يتجرأ لدرجة بأن يقول ظلمًا وافتراءً عن الحروب الدفاعية التي قام بها المصطفى ﷺ كلامًا مجافيًا للغاية. وبرغم كونه من أكثر المشائخ تشددًا في مسألة الجهاد، فإن له رأيًا آخر حول الظروف السياسية بالهند في زمن سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. يقول المودودي:

«مما لا شك فيه أن بلاد الهند كانت فعلاً دار الحرب عندما كان الإنجليز يحاولون القضاء على حكم المسلمين فيها».

أقول: هذا هو موقفنا بالضبط؛ إذا بدأكم أحد بالقتال فقاتِلوه، واحموا الأعراض والأموال والدين، ولا تستسلموا حتى ولو سقط أطفالكم كلهم شهداء واحدًا تلو الآخر. فعلاً كانت الهند حينذاك دار الحرب، وكان من الجائز تسمية كل قتال دفاعي حينذاك جهادًا إسلاميًا. هذا هو موقفنا. ويستمر المودودي مؤيدًا لنا ويقول:

«عندئذ كان من واجب المسلمين أن يضحوا بأرواحهم حماية للدولة الإسلامية بالهند أو يهاجروا منها بعد الهزيمة. أما وبعد أن صاروا مغلوبين فيها،واستتب حكم الإنجليز فيها، ورضي

المسلمون بالعيش هناك مع حرية العمل حسب قوانينهم الخاصة بهم، فلم تعد هذه البلاد دار الحرب» («الربا» للمودودي، الجزء الأول، ص ٧٧و٧٨، الناشر: مكتبة الجماعة الإسلامية المودودية، لاهور).

٤. وقال الملك السعودي الراحل فيصل في اجتماع لرابطة العالم الإسلامي في موسم الحج بمكة سنة ١٩٦٥م (١٣٨٥هج) ما معناه:

«إخواني الأعزاء، إنكم دُعيتم لرفع راية الجهاد في سبيل الله. ولا يعني الجهاد رفع البندقية أو ضرب السيف فحسب، وإنما يعني أيضا دعوة الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله، والعمل بهما، والتمسك بهما حتى في الابتلاءات الشديدة والمحن القاسية. كما يجب علينا خدمة الدين الحنيف واتباع أوامر الله دائما. إننا لا نأمر إخواننا المسلمين بأن يثوروا على حكوماتهم، وإنما أن يتحاكموا إلى الكتاب والسنة كما يعتقدون. عليهم بالعيش بالأمن تحت الحكومات التي تضمن لهم الأمان، ولا يخالفوا القانون بتخريب البلاد» (جريدة «أم القرى»، مكة، ٢٤ إبريل ١٩٦٥).

الأحمدية ليست ذات وجهين

بعد هذه الأقوال ما هو جواب هؤلاء المشائخ المتعصبين الذين يرمون مؤسس الأحمدية بنسخ الجهاد، والعياذ بالله، والتملق للإنجليز والعمالة لهم؟ ألا يرون أن ما قاله حضرته هو نفس ما أفتى به مشائخ زمانه؟ إنه لم يكن منافقًا ذا وجهين يقول للآخرين غير ما يقوله لجماعته، ويقول للإنجليز غير ما يأمر به أتباعه، وإنما تمسك من الصميم بالجهاد الذي أعلن به، ولم يعلن عنه بلسانه فقط، بل لم يزل طول حياته يضحي في سبيله كل ما أُوتي من نفس ونفيس. كما وصّى جماعته بالقيام بهذا الجهاد بكل قوة. إنهم يطعنون اليوم في حضرته لمدحه للملكة فكتوريا ويزعمون أنه سماها ظل الله في الأرض، ولكن هل في هؤلاء المشائخ أحد انتقد أمام الملكة عقائد النصرانية الباطلة بجرأة، واعتبرها ديانة باطلة ميتة، كما فعل حضرته، حيث أشاد عليه السلام من ناحيةٍ بعدل الملكة التي ما كانت الشمس تغيب على ملكها الواسع الأرجاء، ومن ناحية أخرى دعاها بكل شجاعة وصراحة إلى دين الله الإسلام.

سيدنا المهدي يدعو الملكة فكتوريا إلى الإسلام

«أيتها الملكة الكريمة الجليلة، أعجبني أنك، مع كمال فضلك وعلمك وفراستك، تُنكرين فضل الإسلام، ولا تُمعنين فيه بعيون التي تمعنين بها في الأمور العظام. قد رأيتِ في ليلٍ دَجَى، والآن لاحت الشمس، فمالك لا تَرينَ الضحى؟

أيتها الملكة الجليلة، اعلمي، أيدكِ الله، أن دين الإسلام مجمع الأنوار، ومنبع الأنهار، وحديقة الأثمار. وما من دين إلا هو شعبته. فانظري إلى جِبْره وسِبْره، وكوني من الذين يُرزقون منه رزقًا رغدًا ويرتعون. وإن هذا الدين حيّ، ومجمع البركات، ومظهر الآيات، ويأمر بالطيبات، وينهى عن الخبيثات. ومن قال خلاف ذلك أو أبان فقد مان. ونعوذ بالله من الذين يفترون. فبما إخفائهم الحقَّ وإيوائهم الباطلَ لَعَنَهم الله ونَزَعَ من صدورهم أنوار الفطرة. فنسوا حظّهم منها، وفرحوا بالتعصبات وما يصنعون.

أيتها الملكة، إن هذا القرآن يطهّر الصدور، ويُلقي فيها النور، ويُري الحبور الروحاني والسرور. ومن تبعه فيجد نورًا وجده النبيون. ولا يلقى أنواره إلا الذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا، ويأتونه راغبًا في أنواره، فأولئك الذين تُفتح أعينهم، وتُزكّى أنفسهم، فإذا هم مُبصرون.

وإني بفضل الله من الذين أعطاهم الله من أنوار الفرقان، وأصابهم من أتم حظوظ القرآن، فأنار قلبي، ووجدتْ نفسي هداها كما يجده الواصلون. ثم بعد ذلك أرسلني ربي لدعوة الخلق، وآتاني من آيات بينةٍ لأدعو خلقه إلى دينه. فطوبى للذين يقبلونني، ويذكرون الموت، أو يطلبون الآيات، وبعد رؤيتها يؤمنون.

أيتها الملكة الكريمة، قد كان عليك فضل الله في آلاء الدنيا فضلاً كبيرًا. فارغبي الآن في مُلك الآخرة، وتُوبي واقنُتي لرب وحيد، لم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك، وكبِّره تكبيرًا. أتتخذون من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يُخلقون. وإن كنت في شك من الإسلام فها أنا قائم لإراءة آيات صدقه، وهو معي في كل حالي، إذا دعوتُه يجيبني، وإذا ناديتُه يلبيني، وإذا استعنتُه ينصرني. وأنا أعلم أنه في كل موطن يعينني ولا يُضيعني. فهل لكِ رغبة في رُؤية آياتي وعيان صدقي وسدادي، خوفًا من يوم التنادي؟؟

يا قيصرة، تُوبي تُوبي، واسمعي اسمعي، بارك الله في مالك، وكل ما لَكِ، وكنتِ من الذين يُرحَمون». (مرآة كمالات الإسلام، ص ٥٣١ إلى ٥٣٣، الخزائن الروحانية ج ٥)

هذا هو كلام سيدنا المهدي المسيح الموعود عليه السلام، وهذا هو تصور جهاده، وهكذا قام حضرته بهذا الجهاد المقدس. هل تُسمَّى هذه الكلمات تملقًا؟ إنكم لن تجدوا عالمًا من زمنه يتمتع كمثل جرأته عليه السلام حتى يدعو الملكة فكتوريا إلى الإسلام بهذه الصراحة، بل ما كان منهم إلا التملق للإنجليز فقط. إن كلمات «تُوبي تُوبي» تعتبر قنبلةً بالنسبة للملكة البريطانية آنذاك، ولكنه مع ذلك يخاطبها بهذه الشجاعة والصراحة، ناصحًا إياها أن تتوب عن دينها الباطل وتعتنق الإسلام. ونتيجةً لهذه المعرفة

الحقة وهذا الحماس الشديد للجهاد وجه حضرته عليه السلام أتباعه إلى جهادٍ لا نهاية له. فكل لحظة من حياتهم تُصرف في الجهاد.

الهند دار الحرب، كيف؟!

وفي حين كان المشائخ يفتون بكون الهند دار الإسلام، أدرك هذا العارف بالله والعارف بالمعنى الحقيقي للجهاد ببصيرته النافذة أن الهند في الحقيقة ليست دار الإسلام، وإنما هي دار الحرب. ذلك أن البلاد التي هي بأمسِّ الحاجة إلى جهاد روحي لا يمكن أن تكون دار الإسلام. فأعلن حضرته موضّحًا قوله هذا وقال:

«هذه البلاد هي دار الحرب ضد القساوسة. فعلينا ألا نبقى عاطلين أبدًا. ولكن تذكروا أنه يجب أن تكون حربنا كحربهم، ويجب أن نخرج إلى ساحة المعركة لمواجهتهم متسلحين بمثل سلاحهم، وهو القلم، ومن أجل ذلك قد خلع الله عليّ لقب «سلطان القلم» وسمّى قلمي «ذو الفقار علي». والسر في ذلك أن زمننا هذا ليس زمن الحرب والقتال وإنما هو زمن القلم».

(ملفوظات سيدنا المهدي والمسيح عليه السلام، المجلد الأول، ص ٢٣٢)

اعتراف المؤرخين العصريين بجهاد المسلمين الأحمديين

ولقد لمس بهذه الحقيقة الواقعة واعترف بهذه الروح العالية للجهاد لدى الأحمديين العديد من المؤرخين العصريين. فكتب الشيخ محمد أكرم أحد المؤرخين الباكستانيين الكبار، قائلا:

«الأحمديون هم أول من أدركوا من بين المسلمين أنه برغم أن هذه الأيام هي أيام انحطاط للمسلمين في المجال السياسي، إلا أن الحرية الدينية التي تمنحها الحكومات المسيحية لرعاياها، تتيح فرصة نادرة في تاريخ الأديان، ويجب على المسلمين اغتنامها جيدًا».

ويضيف قائلا:

«إن عامة المسلمين يؤمنون، بلا شك، بالجهاد بالسيف، ولكن بأفواههم لا بأفعالهم. كما لا يقومون بأي جهاد في ميدان الدعوة..... ولكن الأحمديين يرون أن الجهاد بالدعوة إلى الله فريضة من الفرائض الدينية، وقد حققوا في هذا المجال نجاحًا لا بأس به» (موج الكوثر، للشيخ محمد أكرم، ص ١٨٧ و١٨٩).

نظريات المشائخ ذات المكيالين

وأخيرًا أقدم أمامكم مقارنة بين نظرية مؤسس الأحمدية للجهاد وبين نظرية الشيخ المودودي. لقد سبق أن أشرت أن نظريات المشائخ ذات مكيالين. فكانت فتاواهم أيام الاحتلال الإنجليزي للهند مختلفة عن التي أصدروها بعده. ثم إنهم يفسرون الجهاد الذي قام به سيدنا المصطفى ﷺ بما يصيب كل مسلم غيور بأذى شديد. إن تصورهم للجهاد النبوي(ﷺ) مؤلم ومحطم للأعصاب، ولا سيما نظريات المودودي الذي يقوم أتباعه اليوم بدعاية مسمومة ضد سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. وقبل أن أقرأ عليكم ما قاله المودودي في الجهاد الإسلامي زمن النبي ﷺ، أود أن أقرأ أمامكم ما كتبه أحد المستشرقين ميجور أورسبرن. يقول هذا المستشرق:

«لقد دعا محمد(ﷺ) خلال فترة الاضطهاد المكية إلى مبدأ: «لا إكراه في الدين»... ولكن نشوة النجاح الذي أحرزه محمد كبتتْ بسرعةٍ صوته هذا الداعي إلى المبادئ الحسنة. فلم يلبث أن أصدر الأمر بالحرب. فقام العرب حاملين القرآن في يدٍ والسيف في اليد الأخرى، ونشروا دينهم بين مدنٍ ملتهبة وصياح عائلات منهوبة مدمرة». (Major Arsbern, Islam Under The Arab Rule, Pub. Long Man Green& Campany, London, P. 46)

ما أبشع وأنجس صورة لانتصارات الإسلام يقدمها أحد المستشرقين! ولكن الأدهى أن نفس الصورة المشوهة القبيحة للغاية يقدمها المودودي في قطعة من حرير الفصاحة المزورة والكلمات المعسولة قائلا:

«لقد دعا رسول الله ﷺ العرب إلى الإسلام ثلاثة عشر عامًا، واتبع معهم كل طريقة ممكنة للإقناع، وساق إليهم حُججًا قوية وأدلة واضحة، كما ليّن قلوبهم بفصاحته، وهيّج مشاعرهم بقوة خطبه، وأظهر لهم بإذن الله معجزات مذهلة، وقدم لهم سيرته مثالاً حسنا للفضيلة والتقوى. وبالاختصار فإنه حاول معهم كل وسيلة لإثبات الحق. ولكن القوم رفضوا دعوته برغم أن صدقه تجلى لهم كالشمس في نصف النهار، وحصحص الحق بلا ريب، حتى رأوا رأي العين أن الطريق الذي يدعوهم إليه هاديهم هو الصراط المستقيم. ولكن منعهم من قبوله ولوعُهم بتلك الملذات الدنيوية التي أتاحتها لهم حريتُهم المشركة.

فلما فشلت كل وسائل التذكير والإقناع، استل النبي ﷺ سيفه وأعلن: «ألا كل مأثرة أو دم أو مال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين». وهكذا ألغى كل الامتيازات المتوارثة لدى العرب، وحطّم كل صنم من شرف مزيف وسلطة مزيفة. وأقام حكومة منظمة في البلاد العربية. كما نفذ بالقوة القوانين الخلقية. فسلب بها حريتهم الآثمة الماجنة التي غطت ملذاتها عيونهم. فَهيَّأ بذلك بيئة آمنة لا بد منها لنمو الأخلاق السامية والمثل العليا في الإنسان.

فأزال السيف صدأ الشرور والأذى من القلوب وأزال كثافة النجس والدرن من النفوس، بل فعل السيف ما هو أكثر من ذلك.. لقد أبرأ العميَ، فصاروا قادرين على رؤية نور الحق، وشفاهم من كبرهم، ذلك الكبر الذي يمنع الناس من قبول الحق. فانحنت الرقاب الغليظة، والرؤوس المتغطرسة في اتصاع وانصياع. وحقق الإسلام في بلاد العرب وغيرها انتشارا سريعًا، حتى إنه في مدى قرن واحدٍ من الزمان دخل في الإسلام ربع أهل الأرض. حدث هذا التحول، لأن السيف مزق الحجب التي كانت تغطي قلوب الناس».

ما أجهل وأبشع وأفدح تصور للجهاد النبوي(ﷺ) يقدمه المودودي، غير خائف من الله تعالى! فانظروا إلى قوله: فلما فشلت كل وسائل التذكير والإقناع استل النبي سيفه.. إلخ، وقارنوه بقول الله عز وجل في القرآن لنبيه ﷺ: [فذكِّر إنْ نفَعتِ الذكرى * سيذَّكَّرُ من يخشى *] (سورة الأعلى: ١٠ و١١).

وقوله تعالى: [فذكِّرْ إنما أنت مذكِّر * لستَ عليهم بمصيطر * إلا مَن تَولَّى وكَفَر * فيعذِّبه الله العذاب الأكبر *] (سورة الغاشية: ٢٢ إلى ٢٥).

أي يا محمد(ﷺ)، عليك أن تستمر في التذكير، فتذكيرك لن يضيع، لأن أساليب تذكيرك تتسم بسمة مميزة، ففيها الحسن والرفق والملاحة والملاطفة مما يترك في القلوب وقعًا عظيما. ولكن إذا أعرض عنه شقي من الأشياء لسوء حظه ورَفْضه، فليس لك الحق في إجباره على قبول الحق باستخدام القوة. لأنك لست مصيطرًا أي رقيبًا ومتسلطًا ومتعهدًا لأعمالهم وأحوالهم، وإنما نحن الذين سوف نحاسبهم ونعذبهم عذابًا أكبر.

هذا هو الإعلان السماوي. ولكن المودودي يقول: فلما فشلت كل وسائل التذكير والإقناع استل النبي سيفه، وأعلن أن كل مأثرة أو دم أو مالٍ يُدعى فهو تحت قدمي هاتين. مع أن الواقع أن هذا القول النبوي الكريم كان يوم حجة الوداع في آخر حياته. فانظروا إلى المودودي كيف يقلب الحقائق ويحرف الكلم عن مواضعها. من المستحيل من عالم بدرجة المودودي ألا يكون مطلعًا على السَنَة والمناسبة اللتين فيهما قال النبي ﷺ هذا، ولكنه يصر قائلا: عندما فشلت القوة القدسية النبوية والتذكير والوعظ والدعوات استل النبي ﷺ السيف فأزال السيف حجب النجس والدرن من النفوس، وأبرأ العمي، فصاروا قادرين على رؤية نور الحق!!

ولكن الله يقول:

[سواء عليهم أأنذرْتهم أم لم تُنذِرْهم لا يؤمنون * خَتَم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوةٌ ولهم عذاب عظيم *] (سورة البقرة: ٨).

أي إن حجب مثل هؤلاء الظالمين لا تزول باستخدام أية قوة.

الواقع أن هذه الأفكار المودودية لا يمكن أن يتفوه بها إلا إنسان جاهل بالتاريخ جهلاً تامًا. فكل مسلم بإندونيسيا وماليزيا والولايات الأربع بالصين حيث معظم السكان مسلمون، يشهد على كذب كل كلمة للمودودي، إذ لم يصل أي سيف للإسلام لا إلى إندونيسيا ولا إلى ماليزيا ولا إلى الصين. فكل صغير وكبير، شاب وشيخ وذكر وأنثى منهم يكذِّب المودودي في قوله هذا، ويعلن بأعلى صوته: والله، إنه ليس سيف محمد الذى فتح قلوبنا، وإنما هو حسنه وجماله وقوته القدسية هي التي فتحت قلوبنا له ﷺ.

القوة القدسية والدعوات النبوية سبب انتصارات النبي ﷺ

بأي جهاد تمكن النبي ﷺ من إحداث هذا الانقلاب العظيم؟ اسمعوا بلسان سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام:

«إن ذلك الحادث العجيب الذي جرى في برية العرب.. حيث بُعث مئات الألوف من الموتى في أيام معدودات.. وتخلَّقَ بالأخلاق الإلهية أولئك الذين فسدت أخلاقهم على مر الأجيال، وأصبح العمي يبصرون، والبُكم بالعارف الإلهية ينطقون.. وحدث انقلاب فجأة في العالم لم تره عين، ولم تسمع به أذن قط.. هل تعرفون كيف حدث ذلك؟ إن تلك الدعوات التي دعا بها في جوف ليال حالكة.. عبدٌ متفان في الله.. هي التي أحدثت ضجة في الدنيا، وأظهرت العجائب التي يبدو صدورها مستحيلا على يد ذلك الأمي الضعيف الحيلة.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وآله.. بعدد همّه وغمّه وحزنه لهذه الأمة، وأَنزِل عليه أنوارَ رحمتك إلى الأبد» (بركات الدعاء ص ١٠ و١١، الخزائن الروحانية ج ٦).

لاحِظوا الفرق بين كلمات سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام وبين أقوال المودودي. ألا ترون بينهما بعد المشرقين؟ ألا ترون أن روح الحق وروح الإسلام هي التي تجلت للقلب الطاهر لسيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه اسلام، فجرت على لسانه المبارك متمثلة في هذه الكلمات المباركة. إنه هو الصوت السماوي الذي هدانا إلى عين سقت أرواحنا المتعطشة حتى ارتوت. إنه هو الصوت الذي كشف لنا عن حقيقة أزلية أبدية بأن القوة الكامنة وراء انتصارات الإسلام ونبيه وشوكته وعظمته ﷺ هي قوته القدسية.. تلك القوة التي صعدت من قلبه الأطهر في صورة دعواتٍ مقبولة، فنزلت كسحابة ممطرة على أراضي الجزيرة العربية، فأخمدت كل نار أوقدها أعداؤه ﷺ، وسقت البر والبحر وأروت الطري واليابس بماء الحياة الذي أَحْيَى الأرض الميتة.

يتبع ص ٢٨

اضطهاد المسلمين الأحمديين في باكستان مستمر!!

إعداد: رشيد احمد شودرى سكرتير الإعلام بالجماعة

١. منع مكبرات الصوت في دورة رياضية

تقدمت الجماعة حسب الإجراءات المتبعة بطلب تصريح لاستعمال مكبر الصوت، بمناسبة الدورة الرياضية السنوية العاشرة لسيدات الجماعة الإسلامية الأحمدية لجميع باكستان، والمقرر تنظيمها يومي ٩، ١٠ من شهر فبراير ١٩٩١ في ربوة، بين جدران مبنى مكاتب جماعة نساء الأحمدية. وبعد تسلم التقارير من كل من مسئول الشرطة بمدينة ربوة والقاضي المحلي.. صرح مساعد مأمور مركز مقاطعة تشينيوت باستخدام مكبر الصوت في المسابقات الرياضية، بشرط وقفها على سيدات ربوة وحدهن داخل الجدران الأربعة، وألا يجرى أي نشاط آخر سوى الألعاب الرياضية، مما حال دون استخدام مكبرات الصوت، لأن السباقات الرياضية لم تكن لسيدات ربوة وحدها بل للسيدات من باكستان كلها.

٢. اعتقال طبيب مسلم أحمدي

بناء على المادة ٢٩٨ س المخزية من قانون العقوبات الباكستاني.. قبضت الشرطة يوم ٥، ٣، ١٩٩١ على السيد رفيع ناصر، ونقلوه إلى سجن تشينيوت، مع أنه مواطن محترم وحكيم في ربوة. وجريمة السيد ناصر أنه وزع في محله نشرة بأسماء الأدوية.. ذكر فيها اسم مؤسس الأحمدية عليه السلام، فاعترض الشيخ الشرير (الله يار أرشد) ورفع قضية على السيد ناصر يوم ٤، ٣، ١٩٩١.

٣. اعتقالات بتهمة التبليغ

اعتقلت الشرطة في ربوة السيد عبد الشكور أحد أصحاب المحلات التجارية بتهمة بيع كتب دينية لأحد الزبائن في العاشرة صباحا من يوم ١٣، ١٢، ١٩٩٠. ويتلخص الموضوع في أن الشيخ الموظف في المسجد المحلي شديد في عدوانه ومعارضته للجماعة الإسلامية الأحمدية، لذلك أرسل شخصا ليحصل على بعض مطبوعات الأحمدية من محل السيد الشكور، فأعطاه شيئا منها. وبناء على طلب الرجل باعه السيد عبد الشكور كتيبا اسمه (دافع البلاء) من كتابات مؤسس الأحمدية عليه السلام. اتصل الشيخ الحقود بالشرطة، وطلب تسجيل قضية ضد صاحب المحل تحت مادة ٢٩٨ س بتهمة بيع الكتاب وتبليغ الدعوة الأحمدية. وقد سبق أن ورطوا السيد عبد الشكور في سلسلة من القضايا المماثلة.. ففي مارس ١٩٩٠ اعتقلته الشرطة بتهمة لبس «خاتم» يحمل نقشا قرآنيا، اعترض المشائخ مدعين أنه بوضع هذا الخاتم يظهر نفسه بمظر المسلمين!

وقبل ذلك اعتقلت الشرطة يوم ١١، ١٢، ١٩٩٠ صاحب محل آخر هو السيد محمد صديق نديم بتهمة بيع كتيب لأحد المشائخ.. يتضمن كلمات يعاقب عليها القانون ٢٩٨ س المخزي.

٤. قُيدت يوم ١٠، ١، ١٩٩٠ قضية ضد السيد عبد الرشيد من «ماندي بهاء الدين»، صاحب ورشة «رشيد موتور». تقول التفاصيل أن السيد عبد الرشيد دعا بعض رجال الأعمال ووجهاء البلدة لحضور الاحتفال بافتتاح توسعاته العملية الجديدة. وكالعادة تضمنت بطاقة الدعوة عبارات مثل «السلام عليكم» و«إن شاء الله»، مما جعل المشائخ المتعصبين يعترضون على هذه العبارات في بطاقة صادرة من مسلم أحمدي، فرفعوا عليه قضية، وقبضت عليه الشرطة في نفس اليوم!

٥. أيد القاضي افتخار شودري الحكم بالسجن لمدة عام وغرامة ألف روبية، الصادر ضد أحد المسلمين الأحمديين من «واه كانت»، هو السيد محمود أحمد شمس، مدير مجموعة ميكانيكية ثقيلة «بتاكسيلا». أصدر الحكمَ المذكورَ القاضي المحلي يوم ٢٣، ٢، ٨٥، لأن المدعي عليه كان يعلق شارة عليها نقش كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، كما أنه أدى الصلاة أثناء زيارته الرسمية لمحطة توليد الكهرباء في مدينة ملتان!

٦. خوشاب: المحكمة العليا ترفض طلبات الكفالة

أصدر القاضي بمدينة جوهر أباد، خالد محمود مايلا، حكمًا بالسجن لمدة عام واحد على ثلاثة من المسلمين الأحمديين

البارزين في خوشاب، هم السادة عطاء الله بن إله دين، وبشير أحمد بن محمد بخش، وعبد الغفور بن عبد الكريم.. وذلك بتهمة كتابة كلمة التوحيد (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) على جدار مسجد الجماعة الإسلامية الأحمدية؛ وقد أزيلت الكتابة من المسجد بعد ذلك.

استوئنف الحكم أمام القاضي محمد محمود لبطلان التهمة، ولكنه رفض الاستئناف في جلسة ١٦، ٧، ١٩٩٠ مبررا حكمه بقوله: «لا أجد وجها لهذا الاستئناف، ومن ثم فهو مرفوض». على أثر ذلك اعتقلت الشرطة المسلمين الأحمديين، فتقدموا بطلب الإفراج بكفالة أمام المحكمة العليا.. ولكنها بدورها رفضته.

٧. وفي قضية أخرى يوم ٥، ٤، ١٩٩٠ حكم خالد محمود مايلا القاضي المحلي في جوهر أباد على السيد مشتاق بن شير محمد بالسجن مع الشغل لمدة عام.. بتهمة رفع الأذان في مكان عبادة الأحمديين (هكذا يسمون مساجد المسلمين الأحمديين). ورفض القاضي محمد محمود استئناف الحكم قائلا: أؤيد حكم الإدانة الصادر في ٥، ٤، ١٩٩٠ مع رفض الاستئناف». وكذلك رفضت المحكمة العليا طلب دفع الكفالة.

٨. نواب شاه السند: اغتيال مسلم أحمدي

في يوم ١٦، ١١، ١٩٩٠ أطلق مجرم أثيم النار على مسلم أحمدي فقتله بسبب عقيدته. تقول التفاصيل أن السيد ناصر أحمد علوي، في الثانية والأربعين من العمر، والد لخمسة أطفال أبرياء، كان ينام في بيته عندما تسلل القاتل جدار البيت الخارجي وأطلق النار على الفقيد من مسافة قريبة، فقتله على الفور. والفقيد، تغمده الله برحمته، كان أحمديا معروفا في المنطقة، وعضوا في اللجنة العاملة المحلية بالجماعة الإسلامية الأحمدية.

٩. سرجودا: إزالة الكلمة الطيبة من بيوت الأحمديين

أمرت الشرطة جميع المسلمين الأحمديين القاطنين في قرية «تشك رقم ٩ بنيار» بمحافظة سرجودا في الأسبوع الثاني من شهر ديسمبر عام ٩٠ بإزالة الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) من بيوتهم.. فرفض الأحمديون ذلك لأن الكلمة الطيبة هي عقيدتهم. وفي اليوم التالي استخدم الشرطة رجلا نصرانيا لإزالة الكلمة الطيبة المكتوبة من ٣٣ منزلا أحمديا.

١٠. حكم القاضي بملتان سيد زاهد حسين قادري يوم ٢٨، ١١، ١٩٩٠ بالسجن لستة أعوام من الأشغال الشاقة، منها ستة أشهر في السجن الانفرادي، مع غرامة قدرها ٣٠ ألف روبية، وتسعة أشهر سجنا إضافيا في حالة العجز عن دفع الغرامة.. على كل من الأخويين الأحمديين السيدين محمد حنيف ومحمد أحسن، وهما صاحبا متجرٍ في «شارع تُغلق» بملتان. سجل القضيةَ ضدهما في شهر فبراير ١٩٨٧ بعضُ أصحاب المحلات في المنطقة المجاورة لهما تحت المادة ٢٩٨ ب و٢٩٨ س من قانون العقوبات الباكستاني، وادعوا أنهما قدما لهم كتاب «إزالة سوء فهم» وبعض المطبوعات الأحمدية الأخرى.

١١. كراتشي: هدم مسجد للجماعة الإسلامية الأحمدية

هاجمت عصابة عدوانية مسجدَ الجماعة الإسلامية الأحمدية في بلدة أورانجي بكراتشي يوم ٣، ٨، ١٩٩٠ فحطموا النوافذ والأبواب وأحدثوا تلفا شديدا بالمبنى ومحتوياته. ثم كسروا باب المسكن المجاور للمسجد، وهو مقر الجماعة هناك، ونثروا فيه البترول وأشعلوا النار. وكذلك هاجموا منزلا أحمديا في الجانب الآخر من المسجد، وهدموا الجدران الخارجية، ثم أشعلوا فيه النار بعد تخريبه تماما.

وعندما توجه السيد حبيب الله صادق الأحمدي لتبليغ الواقعة إلى السلطات المعنية.. اعترض طريقه المعتدون عند دعوته واعتدوا عليه بالضرب.

إنِّيْ لَنَشْوانٌ بعِشْقِ محمَّدٍ ... مِن بعد حُبِّ الله جلَّ جلالُهُ

إنْ كان هذا الكفرَ إنِّيْ لكافرٌ ... ربِّيْ شهيد.. قد سَبَاني جمالُهُ

(لسيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام)

(عربه من الفارسية الأستاذ نادر الحصني الحسيني)

ALTAQWA

ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE

Volume 4 Issue No 1, May 1991

نحن نعتقد

(من كلام مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام)

« وأمّا عقائدنا التي ثبّتنا الله عليها، فاعلم يا أخي، أنّا آمنا بالله ربّاً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، وآمنا بأنه خاتم النبيين، وآمنا بالفرقان أنه من الله الرحمٰن، ولا نقبل كل ما يعارض الفرقان ويخالف بيناته ومحكماته وقصصه، ولو كان أمرا عقليا أو كان من الآثار التي سماها أهل الحديث حديثا، أو كان من أقوال الصحابة أو التابعين.. لأن الفرقان الكريم كتاب قد ثبت تواتره لفظاً لفظا، وهو وَحْيٌ متلوٌ قطعيٌ يقيني، ومن شك في قطعيته فهو كافر مردود عندنا ومن الفاسقين. والقرآن مخصوص بالقطعية التامة، وله مرتبة فوق مرتبة كل كتاب وكل وحي. ما مسه أيدى الناس، وأما غيره من الكتب والآثار فلا يبلغ هذا المقام، ومن آثر غيره عليه فقد آثر الشك على اليقين.»

(تحفة بغداد ص ٢٥)

« لا يدخل في جماعتنا إلا الذى دخل في دين الإسلام، واتّبع كتاب الله وسنن سيدنا خير الأنام، وآمن بالله ورسوله الكريم الرحيم، وبالحشر والنشر والجنة والجحيم، ويعد ويقر بأنه لن يبتغي دينا غير دين الإسلام، ويموت على هذا الدين دين الفطرة متمسكا بكتاب الله العلّام، ويعمل بكل ما ثبت من السنة والقرآن وإجماع الصحابة الكرام. ومن ترك هذه الثلاثة فقد ترك نفسه في النار، وكان مآلهُ التباب والتبار .»

(مواهب الرحمٰن ص ٩٦ - ٩٧)